

إصدار الهيئة العلمية
برباط أبي بكر الصديق رضي الله عنه للعلوم الشرعية
بجامع دحمان كبير بالحديدة

لمحات أدبية

بقلم خادم العلم والعلماء بمدينة الحديدة
الشيخ / محمد أحمد محمد عاموه الحنفي
غفر الله له ولوالديه وسائر المسلمين
اللهم آمين

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدلله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين .... أما بعد فهذه لمحات مختارة انتخبتها من كنوز الأدب لينتفع بها طلبة العلم والله أسأل أن يكتب لها القبول بمنه وكرمه آمين وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه ولاحول ولاقوة إلا بالله العلي العظيم .

بسم الله الرحمن الرحيم

مدخل

تعريف الأدب :

الأدب فن من القول الجميل يخلده لنا الأديب نثراً أو نظماً معبراً عن الأخيلة البديعة والصور المؤثرة البليغة والمشاهد الفاتنة والمواقف الآسرة وهو يقيد هذه اللحظة الحية من حياته فيرسمها لنا بصورة رائعة جميلة جذابة ويعرضها بأحسن عرض وهذه الصورة صحيحة اللغة جميلة الأسلوب جيدة السبك متينة الحبك تعبر عن الواقع الذي يحسه ويعيش فيه .

فالأدب إذاً : ما أنتجه الفكر وقدمه غذاء شهياً للعقول والقلوب . فيه المتعة والفائدة وفيه الروعة والجمال .

فالأدب نوع من الكلام وهذا النوع من الكلام إما أن يوافق ما أمر الإسلام به أم لا فإن وافق سميناه أدباً إسلامياً وإن لم يوافق كان أدباً شيطانياً .

فالأدب الإسلامي هو التعبير بالكلام الجميل المؤثر في أي فن من فنون الكلام وأي موضوع من موضوعاته بشرط أن لا يكون ذا مضمون فكري أو ذا تأثير فكري أو نفسي يتنافى مع ما أمر به الإسلام أو نهى عنه .

ومن أنواع الأدب الإسلامي :

أدب الدعوة وضابطه : أن يقال هو الأدب الإسلامي المشتمل على ترغيب أو إلزام بما رغب فيه الإسلام أو ألزم .

شرح وتوضيح الأدب الإسلامي

قلنا أن الأدب الإسلامي هو التعبير بأي فن من فنون الكلام الجميل المؤثر بشرط أن يكون ذا مضمون لا يتنافى مع ما أمر به الإسلام أو نهى عنه .

فالكلام هو بحد ذاته وسيلة حيادية على اختلاف فنونه النثرية والشعرية وما بينهما وهذه الفنون تشمل القصة والحوار والتمثيليات والجدال والترسل والسجع وأساليب القول التعليمية والتفنينية والتعليقات والتوقيعات والبيانات الإقناعية والسؤال والجواب والخطابة والمحاضرة والدرس والمحادثة والنكات والمضحكات والمزاح والمدح والهجاء والتقريعات والشتائم والاستجداء والدعاء إلى غير ذلك من الفنون .

والوسائل الحيادية إن استعملت في الخير كانت خيراً وإن استعملت في الشر كانت شراً وإن استعملت في أمر مباح كانت مباحة .

ولما كان الكلام بحد ذاته وسيلة حيادية فهو كسائر الوسائل الحيادية إنما يحكم عليه من خلال مضامينه الفكرية وغاياته وأهدافه وما يؤدي إليه .
لذلك فلا يعتبر الأدب أدباً إسلامياً إذا اشتمل على مضمون يتنافى مع الإسلام في عقيدة أو خلق أو عمل أو أي حكم ثابت من أحكامه ولو صدر هذا الأدب من مسلم .
و لا يعتبر الأدب أدباً إسلامياً إذا كانت غاياته وأهدافه مما لا يأذن بها الإسلام أو كان يؤدي ولو على سبيل الدفع الضمني إلى ما لا يأذن به الإسلام .
ولا يعتبر الأدب أدباً إسلامياً إذا كان يتضمن تحريم ما أذن به الإسلام وأباحه وأما ماعدا ذلك فله في سماحة الإسلام وسعته مكان رحب .
والخلاصة أن كل أدب هو ذو مضمون وهذا المضمون له في الإسلام حكم من الأحكام الخمسة فأما المضمون الذي منع منه الإسلام وحرمه فهو شر لا محالة وقصده إلتزام بالشر .
وأما المضمون الذي أمر به الإسلام أو أذن به فهو إما خير وقصده إلتزام بالخير وإما مباح لا شر فيه وسماحة الإسلام تتسع له .

أهداف الأدب

الأدب فن القول الجميل والتعبير بأسلوب رائع عن الحياة ويجب أن يكون في دراسته ما يغذي العقول ويثير الشعور ويسمو بالعواطف ويوجه السلوك إلى المثل العليا والقيم السامية لذا كان على هذه المادة الهامة أن تحقق الأهداف التالية :
١- تذوق بلاغة القرآن الكريم تلك المعجزة الخالدة فهو كتاب العربية الأكبر إدراك أسرار إعجازه وروعته وسحر بيانه وشموله .
٢- استجلاء فصاحة الرسول ﷺ والوقوف على بلاغة الحديث النبوي الشريف وعلى أثره في اللغة والأدب .
٣- إبراز جمال الأدب العربي الإسلامي والكشف عما فيه من عناصر الأصالة والقوة والروعة والجمال التي جعلته يتبوأ مكانة سامية بين الآداب العالمية .
٤- غرس محبة اللغة العربية الفصحى في النفوس وكم عَزَّ أقوام بعز لغاتهم.
وإدراك ما حفلت به اللغة العربية من ثروة تعبيرية طائلة قادرة على سد حاجات الأمة المتجددة ومسايرة ركب الحضارة في ميادين العلوم والفنون والآداب .

٥- تنمية الحس الجمالي والذوق الأدبي وإرهاف الحس وترقيق المشاعر وذلك بعرض نصوص مختارة من الأدب الإسلامي .
٦- الإفادة من مادة الأدب في معالجة مشكلات الأمة الإسلامية وتصوير آمالها وآلامها والحفاظ على وحدتها وربط حاضرها بماضيها .
٧- الاهتمام بالأدب الإسلامي عموماً لما يثيره فينا من الأمجاد الخالدة والحماسة الباعثة لعلو الهمة والسمو إلى معالي الأمور والجهاد والتضحية ، والاهتمام بأدب الدعوة الإسلامية ذلك الأدب الإسلامي المشتمل على ترغيب أو إلزام بما رغب فيه الإسلام أو ألزم وبهذا الأدب تدعم مبادئ الدعوة وتدافع عن كيانها .
٨- الإعتزاز بلغتنا العربية لأنها لغة القرآن العظيم ورسولنا الكريم ﷺ .
إن الأدب الهادف هو ذلك الأدب الذي له رسالة في الحياة وهل هناك أسمى من رسالة الأديب قال شاعر طيبة محمد ضياء الدين الصابوني في رسالة الأديب المسلم في مؤتمر الأدباء في رجب ١٤٠٢هـ :

إن الحياة أمانة ورسالة	**ومن الجهاد رسالة الأقلام**
إن الحياة عقيدة ورجولة	**تسمو على التضليل والأوهام**
إن الأديب الحر سحر بيانه	**ليثير فينا وقدة الإلهام**
أين الأمانة قد خلقت لحملها	**أوجدتها عبئاً على الأيام**
أين العقيدة في لهيب ضرامها	**أين الإباء وعزة الإسلام**
أين الرسالة في جمال سموها	**دين الجهاد يبثُّ في الأقوام**
فمتى يفيق المُجِّد من غفلاته	**ومتى ترفرف راية الإسلام**

هيّا يا شباب لأدب إسلامي يكون وسيلة للدعوة إلى سبيل الله

وظائف الأدب :
١- تأصيل العقيدة والإقناع بها .
٢- بناء الأخلاق الإسلامية والإقناع بها .
٣- تقييم السلوك الإنساني وتسييره وفق منهج دين الله .
٤- توثيق الروابط الاجتماعية بين المسلمين وإن اختلفت لغاتهم وتباعدت أقطارهم .
٥- تنمية الظواهر الحضارية في معارج التفكير وجمال التعبير .

كيف تصبح أديباً

النزعة الأدبية موجودة في كل إنسان لأنه مجبول عليها في فطرته ولهذا تجده يعبر عنها أدبياً حيناً وحيناً تظهر فيه بإظهار الإعجاب بالجمال الأدبي لهذا نجد الإسلام يدعو للأدب ويوجه إليه لإشباع النزعة الأدبية عند المسلم بمجالات فنون الأدب الإسلامي حتى لا تتحول هذه الميولات والنزعات الأدبية للتعلق بآداب أخرى غير إسلامية .

فعلى المسلم أن يربي وينمّي ذوقه الفني الأدبي ويعمل على تربية وتنمية الذوق الفني الأدبي لدى أجيال الأمة الإسلامية .

وإن الأدب عرضاً ونقداً يعلم الأدب ويربي الذوق الفني في هذا المجال ومهما زادت حركة العرض والنقد زاد الإحساس بتذوق فنون الجمال الأدبي وكلما ظهر الأدب الإسلامي وداع صيته واتسعت دائرته ازداد الأدب في المجتمع ارتقاء وصعوداً وابتعد عن الخمول والركود .

فضل الأدب

قال الإمام علي رضي الله عنه : كفى بالعلم شرفاً أنه يدعيه من لا يحسنه ويفرح إذا نسب إليه من ليس من أهله وكفى بالجهل خمولاً أنه يتبرأ منه من هو فيه ويغضب إذا نسب إليه .

وقال أيضاً رضي الله عنه : كل شيء يعز إذا نزر ما خلا العلم فإنه يعزُّ إذا غزر .

قال بعض الفقهاء : حبٌّ من الناس حبٌّ من الله وما صلح دين إلا بحياء ولا حياء إلا بعقل وما صلح دين ولا حياء ولا عقل إلا بأدب .

وقال بعضهم : فقدان الأديب الطبع كفقدان ذي النجدة السلاح ولا محصول لأحدهما دون الآخر .

وأنشد :

نعم عونُ الفتى إذا طلب العلم ورَامَ الآدابَ صحةُ طَبْع
فإذا الطبعُ فاته بَطَلَ السعيُ وصار العناء في غير نفع

وقال بعضهم :

ما وهب الله لامرئٍ هبه أحسن من عقله ومن أدبه
هما جمال الفتى فإن فُقِدَا ففقدُهُ للحياة أجملُ به

قال ابن المبارك : انفقت في الحديث أربعين ألفاً وفي الأدب ستين ألفاً وليت ما أنفقته في الحديث أنفقته في الأدب قيل لـه كيف ؟ قال لأن النصارى كفروا بتشديدة واحدة خففوها قال تعالى (يا عيسى إني ولّدتُك من عذراء بتول) فقالت النصارى ولدتك .

وقال بعضهم :

ولــم أر عقلاً صح إلا بشيمةٍ ولــم أر علماً صحّ إلا على أدَب

وقال آخر :

لكـل شيء حَسَن زينة وزينةُ العــالِم حُسنُ الأدب
قد يشرف المرء بآدابه فينا وإن كان وضيع النسب

وقال آخر :

مــن كان مفتخراً بالمال والنسب فـإنما فخُرنا بالـعلم والأدب
لا خير في رجل حـر بـلا أدب لا لا وإن كان منسوباً إلى العرب

قالوا الفرق بين الأديب والعالم أن الأديب يأخذ من كل شيء أحسنه فيألفه والعالم من يقصد فناً واحداً من العلم فيعمل فيه بجد وجهد ولذلك قال الإمام علي رضي الله عنه : العلم أكثر من أن يحصى فخذوا من كل شيء أحسنه.

وقال بعضهم :

ذخائر المـال لا تبقي على أحـد والعلم تدْخَرُهُ يبقى على الأبـد
والمـرء يبلغ بـالآداب منزلــة يَـذل فيها لـه ذو المال والعُقدِ

وقال بعضهم : من أراد السيادة فعليه بأربع " العلم والأدب والعفة والأمانة "
وقال بُزُرْ جُمَهْرُ : من كثر أدبه كثر شرفه وإن كان وضيعاً وبعد صوته وإن كان خاملاً وساد وإن كان غريباً وكثرت الحاجة إليه وإن كان فقيراً
ويقال عليكم بالأدب فإنه صاحب في السفر ومؤنس في الحضر وجليس في الوحدة وجمال في المحافل وسبب إلى طلب الحاجة .
وقال أبو نواس : ما استكثر أحد من شيء إلا مله وثقل عليه إلا الأدب فإنه كلما استكثر منه كان أشهى له وأخف عليه .
وقال ابن السِّكِّيت : خذ من الأدب ما يعلق بالقلوب وتشتهيه الآذان وخذ من النحو ما تقيم به الكلام ودع الغوامض .
قيل لمنذر بن واصل كيف شهوتك للأدب ؟ فقال : أسمع بالحرف منه لم أسمعه فتود أعضائي أن لها أسماعاً تنعم مثل ما تنعمت الآذان . قيل وكيف

طلبك لـه ؟ قال : طلب المرأة المضلة ولدها وليس لها غيره . قيل وكيف حرصك عليه ؟ قال : حرص الجموع المنوع على بلوغ لذته في المال .
قال الأصمعي : قال لي إعرابي ما حرفتك قلت الأدب قال نعم الشيء فعليك به فإنه ينزل المملوك في حد الملوك .
وأقول :

إن رمـت عـــزاً عالي الرتب فاعتمل[1] صدقـــاً قـــراءة الأدب

المطلوب من الدعاة إلى الله تجاه الأدب

المطلـوب مـن الـدعاة إلـى الله أن يتـذوقوا الأدب ويعرفـوا أصـوله وقواعـده ويطلعوا على أساليبه وفنونه ويتدربوا عليها ويمارسوها في مجالات الدعوة ضمن المأذون به شرعاً ليكون تأثيرهم في جماهير النـاس أعمق وأوسع مع ما يشتمل عليه أدبهم من حق وإقناعات منطقية مغلـّفة بزينات فكرية أدبية ولمسات عاطفية مؤثرة حلوة .
إن الأدب وسيلة ذات جدوى مؤكدة في نفوس الناس وأفكارهم وقلوبهم وهو من الحكمة والموعظة الحسنة اللتين أمر الله بهما في قوله تعالى في سورة النحــل آيـــة ١٢٥ (ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦۖ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ) **.**

إن الحكمـة بمعناهـا العـام تقتـضي وضـع الأشـياء فـي مواضـعها وإنّ أرفـع البلاغة وأسمى الأدب البياني لا يتحققان إلا بمطابقة الكلام لمقتضى حال من يوجـه لــه وإن الموعظـة الحسنة كثيـراً مـا يكـون الأدب أحـد العناصـر التـي أكسبها الحسن أو أجلها وأعظمها .
فالكلام البليغ وفنون الأدب الرفيع من الحكمة المطلوبة بالنص القرآني لدى الدعوة إلى سبيل الله . يطالب كل إنسان بها على قدر مستطاعه .
والموعظة الحسنة لا تتحقق في معظم أحوالها إلا مقترنـة بـأدب بيـاني حسن مؤثر يناسب حال من توجه له الموعظة فهذا النص القرآني يدل على وجوب استخدام الأدب وسيلة من وسائل الدعوة إلى الله .
والأصل في كل أتباع سيدنا محمد ﷺ الذين آمنوا برسالته واتبعوه أن يكونوا دعاة إلى الله كل منهم بحسب موقعه وعلى مقدار علمه يدل على هذا قول الله

---

(١) اعتمل : اعمل بجد وجهد .

تعالى لرسوله محمد ﷺ في أواخر سورة يوسف (قُلۡ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ وَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ) (يوسف:١٠٨) **فسبيل الرسول ﷺ ومن اتبعه تتلخص في ثلاثة عناصر :**

العنصر الأول : الدعوة إلى الله على بصيرة والبصيرة في هذا المجال تشمل المضمون وأسلوب البيان قولاً وعملاً والبصيرة في أسلوب البيان تستوجب اتخاذ الأدب وسيلة للتأثير .

العنصر الثاني : تنزيه الله وقد دل عليه في الآية قوله تعالى (وَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ)

العنصر الثالث : إعلان التبرؤ من الشرك كله في الاعتقاد والقول والإرادة والعمل وقد دل عليه قوله تعالى (وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ) **هذه هي سبيل الرسول ومن اتبعه مخلصاً صادقاً ، لذلك يجب على الدعاة المتخصصين في الدعوة والمتفرغين لها والمضطلعين بالمهمة التي أمر الله بها في قوله في سورة آل عمران آية ١٠٤** (وَلۡتَكُن مِّنكُمۡ أُمَّةٞ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلۡخَيۡرِ وَيَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ) **يجب عليهم أن لا يستهينوا بأمر اتخاذ الأدب وسيلة من وسائل الدعوة إلى الله ويجب عليهم أن لا يدعوا الساحة الإنسانية لدعاة الشر والفتنة والفساد في الأرض يستخدمون فيها الأدب على اختلاف فنونه النثرية والشعرية لإشاعة الفساد ،**

فلا يجوز للمسلمين أن يتركوا ساحة الأدب لدعاة الشر العاملين على نشر الرذيلة والأفكار الهدامة والأعمال المنحرفة بأدق أنواع فنون الأدب.

بل يجب على المسلمين أن يملؤ ساحة الأدب الرفيع ضمن المنهج الإسلامي ونشر الفضيلة وإيضاح الأفكار الإسلامية والأعمال المستقيمة بأجمل وأعذب وأدق أنواع فنون الأدب وذاك لأن الأدب الإسلامي أدب أخلاقي ملتزم بالفضيلة فكراً وأسلوباً . وكما أن وجود الإسلام بحد ذاته في كل موقع تقع فيه قدم إنسان أو حيوان أمر ضروري لسعادة البشرية كلها فإن حضور الأدب الإسلامي على مستوى الإنسانية جمعاء وسيلة مساعدة جداً لتوجيه الفكر العالمي نحو الإسلام .

ومن واجب وسائل الإعلام في العالم الإسلامي كله عربه وعجمه الاهتمام البالغ بالأدب الإسلامي عموماً وأدب الدعوة على وجه الخصوص مساهمة

منها في الدعوة إلى الإسلام وإلى الأخلاقيات والمفاهيم الإسلامية وهذا من الضرورات الشرعية اللازم القيام بها في هذا العصر لرد كيد اليهود الذين جندوا كُتّاباً كثيرين لملء حاجات أجهزة الإعلام بما يفسد ولا يصلح والله المستعان ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

أولاً : نماذج قرآنية

❁ النموذج الأول في المبادئ والإنسانيات :

النص : قال تعالى : (وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنًاۚ إِمَّا يَبۡلُغَنَّ عِندَكَ
ٱلۡكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوۡ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفّٖ وَلَا تَنۡهَرۡهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوۡلٗا كَرِيمٗا ﴿٢٣﴾
وَٱخۡفِضۡ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحۡمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرۡحَمۡهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرٗا ﴿٢٤﴾ رَّبُّكُمۡ أَعۡلَمُ بِمَا
فِي نُفُوسِكُمۡۚ إِن تَكُونُواْ صَٰلِحِينَ فَإِنَّهُۥ كَانَ لِلۡأَوَّٰبِينَ غَفُورٗا ﴿٢٥﴾ وَءَاتِ ذَا ٱلۡقُرۡبَىٰ حَقَّهُۥ
وَٱلۡمِسۡكِينَ وَٱبۡنَ ٱلسَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرۡ تَبۡذِيرًا ﴿٢٦﴾ إِنَّ ٱلۡمُبَذِّرِينَ كَانُوٓاْ إِخۡوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِۖ وَكَانَ
ٱلشَّيۡطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورٗا ﴿٢٧﴾ وَإِمَّا تُعۡرِضَنَّ عَنۡهُمُ ٱبۡتِغَآءَ رَحۡمَةٖ مِّن رَّبِّكَ تَرۡجُوهَا فَقُل لَّهُمۡ قَوۡلٗا
مَّيۡسُورٗا ﴿٢٨﴾ وَلَا تَجۡعَلۡ يَدَكَ مَغۡلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبۡسُطۡهَا كُلَّ ٱلۡبَسۡطِ فَتَقۡعُدَ مَلُومٗا مَّحۡسُورًا ﴿٢٩﴾
إِنَّ رَبَّكَ يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقۡدِرُۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرَۢا بَصِيرٗا ﴿٣٠﴾ وَلَا تَقۡتُلُوٓاْ أَوۡلَٰدَكُمۡ
خَشۡيَةَ إِمۡلَٰقٖۖ نَّحۡنُ نَرۡزُقُهُمۡ وَإِيَّاكُمۡۚ إِنَّ قَتۡلَهُمۡ كَانَ خِطۡـٔٗا كَبِيرٗا ﴿٣١﴾ وَلَا تَقۡرَبُواْ ٱلزِّنَىٰٓۖ إِنَّهُۥ كَانَ
فَٰحِشَةٗ وَسَآءَ سَبِيلٗا ﴿٣٢﴾ وَلَا تَقۡتُلُواْ ٱلنَّفۡسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلۡحَقِّۗ وَمَن قُتِلَ مَظۡلُومٗا فَقَدۡ
جَعَلۡنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلۡطَٰنٗا فَلَا يُسۡرِف فِّي ٱلۡقَتۡلِۖ إِنَّهُۥ كَانَ مَنصُورٗا ﴿٣٣﴾ وَلَا تَقۡرَبُواْ مَالَ ٱلۡيَتِيمِ إِلَّا
بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ حَتَّىٰ يَبۡلُغَ أَشُدَّهُۥۚ وَأَوۡفُواْ بِٱلۡعَهۡدِۖ إِنَّ ٱلۡعَهۡدَ كَانَ مَسۡـُٔولٗا ﴿٣٤﴾ وَأَوۡفُواْ ٱلۡكَيۡلَ
إِذَا كِلۡتُمۡ وَزِنُواْ بِٱلۡقِسۡطَاسِ ٱلۡمُسۡتَقِيمِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلٗا ﴿٣٥﴾ وَلَا تَقۡفُ مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ
عِلۡمٌۚ إِنَّ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡبَصَرَ وَٱلۡفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنۡهُ مَسۡـُٔولٗا ﴿٣٦﴾ وَلَا تَمۡشِ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَرَحًاۖ
إِنَّكَ لَن تَخۡرِقَ ٱلۡأَرۡضَ وَلَن تَبۡلُغَ ٱلۡجِبَالَ طُولٗا ﴿٣٧﴾ كُلُّ ذَٰلِكَ كَانَ سَيِّئُهُۥ عِندَ رَبِّكَ مَكۡرُوهٗا ﴿٣٨﴾
ذَٰلِكَ مِمَّآ أَوۡحَىٰٓ إِلَيۡكَ رَبُّكَ مِنَ ٱلۡحِكۡمَةِۗ وَلَا تَجۡعَلۡ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتُلۡقَىٰ فِي جَهَنَّمَ مَلُومٗا
مَّدۡحُورًا) **من سورة الإسراء من آية ٢٣ : ٣٩**

١- تعريف عام بالآيات :

تعرض هذه الآيات لبيان أحد عشر مبدأ من أهم المبادئ الإنسانية العامة مبتدأة ومختتمة بمبدأ التوحيد والعبودية لله عز وجل .

وتأتي هذه الآيات بعد آيات سابقة تتحدث عن أهمية القرآن في إصلاح حياة الإنسان ودلالته على النهج القويم ، وعن حدود المسؤليات ونظامها، وقيمة كل من الحياتين الدنيوية والأخروية .

فهي تأتي بعد منبهات وحوافز تهيئ كلاً من النفس والذهن لقبول ما تتضمنه هذه الآيات من مبادئ الإنسانية بقبول حسن .

٢- تفسير الآيات وتفصيل ما فيها من مبادئ الإنسانية :

(١) قال تعالى : (وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ) أي أمر ربك ألا تعبدوا إلا إياه أي اجعلوا كل عباداتكم محصورة به ومقصورة عليه .

وقد استهل الخطاب بجملة إخبارية للرسول ﷺ وهي وقضى ربك ، ثم التفت بالخطاب إلى الناس حينما تحول من الإخبار إلى الإنشاء فقال ألاّ تعبدوا إلا إياه وذلك لأن الجملة الأولى حكاية فناسب أن يتجه الخطاب فيها إلى النبي ﷺ وأما الثانية فأمر وتوجيه فناسب أن يتجه الخطاب فيها إلى عامة الدين يتجه هذا الأمر إليهم .

واختير هنا من أسماء الله عز وجل اسم رب لأن وحدانية الربوبية لله عز وجل تستلزم عقلاً وحدانيته في إلهيته فلا معبود بحق سواه إذ العبادة حق الرب الممد بعطاءات ربوبيته مادام العبد له وجود ممدود بمدد ما .

ودعوة الناس إلى عبادة الله وحده لا شريك له هو أول مبدأ من المبادئ الأحد عشر وهو أخطرها وأهمها .

(٢) ثم أتبعه بالمبدأ الثاني بقوله تعالى : (وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا) أي وقضى موجباً عليكم أن تحسنوا بالوالدين إحساناً يقال لغة : أحسن به وأحسن إليه ، أي فعل ما هو حسن .

وإنما جعل رتبة بر الوالدين إثر رتبة توحيد الله وعبادته لأن الله هو المسبب الحقيقي لوجود الإنسان وعيشه وارتزاقه والوالدان هما السبب الجعلي والظاهري لكل من الوجود والعيش فلئن كان المقتضي لعبادة الله

أنه الخالق والمنعم الحقيقي فإن المقتضي لبر الوالدين ما قضت به حكمة الله من أن يكون وجود الإنسان بهما ونشأته عن طريق رعايتهما .
ثم شرح المقصود بالإحسان فقال:(إِمَّا يَبۡلُغَنَّ عِندَكَ ٱلۡكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوۡ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفّٖ وَلَا تَنۡهَرۡهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوۡلٗا كَرِيمٗا **)**

إمَّا أصلها مركبة من إن الشرطية وما الزائدة والنون في يبلغن نون التوكيد الثقيلة وهذه النون في الفعل المضارع بعد إما تكاد تكون واجبة وفي قراء سبعية يبلغان والنون فيها كذلك للتوكيد .
وإنما ركبت إن مع ما التي يسمونها زائدة لتصوير المبالغة في استقصاء الظروف والأحوال ووجدت نون التوكيد على الفعل لنفس الغرض أيضاً فأصبحت الجملة تقول لك بكل من لفظها ومعناها مهما وجدت الشيخوخة قد دبت إلى أحد من أبويك فليكن موقفك منهما في كل الظروف والأحوال موقف الراحم الشفوق والخادم المحب وكان من الممكن لسلامة أصل هذا المعنى أن تستغني الآية عن كلمة عندك بأن تقول (إما يبلغن الكبر أحدهما أو كلاهما) لولا أن عندك هذه تثبت في إحساس المخاطب معنى هائلاً يثير فيه النزوع إلى الشفقة والرقة والعطف فالآية تصور بهذه الكلمة كيف أن الكبر والضعف قد وضع كلاً من الوالدين في كنف الابن وتحت رعايته بعد أن كان الابن هو الضعيف الذي يعيش في كنفهما وتحت رعايتهما .
والقصد إلى تصوير هذا المعنى هو الذي اقتضى تقديم لفظ الكبر وهو مفعول على لفظ أحدهما وهو فاعل .
ولو اختلف نسق هذه الألفاظ وترتيبها اختلافاً ما لاختفت الصورة وبطل أن يكون في الآية شيء من هذا الإيحاء .
وفي عبارة عندك أيضاً دلالة على أن الوالد الكبير المساكن الذي تكثر تكاليفه وأوامره ونواهيه وتدخلاته في الصغائر من شأنه أن يثير الضجر بخلاف غير المساكن وعلى الرغم من ذلك فالولد مأمور بالصبر والتحمل وعدم توجيه كلمة أف فضلاً عما هو أشد منها .
ثم انظر كيف نهتك الآية عن أن تضيق ذرعاً بهما في شعورك ونفسك كما نهتك عن إيذائهما في شيء من عملك ومعاملتك ثم كَنَّتْ عن الأول بأقل

مظهر لــه وهـو التـأفف (فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفّٖ) أف اسـم فعـل مـضارع بمعنـى أتضـجـر وكَنَّتْ عن الـثـانـي بأدنـى مـظـهـر مـن مـظـاهره وهو القسوة أو الإنتهار في القول فنهت عن ذلك بدلالة النص إذ النهي عن أدنى أفراد الشيء أبلغ نص في الدلالة على عموم النهي عن الجنس كله .

(وَلَا تَنۡهَرۡهُمَا) النهر هو الزجر يقال لغة : نهر فلان فلاناً ينهره نهراً أي زجره وأغضبه ومثل النهر ما يساويه مما يؤذي ثم شرع يبين لنا صور الإحسان ومن تلك الصور ما يأتي :

- **توجيه القول الكريم لهما وهو القول الذي فيه تكريم للمخاطب ورفع مـن شأنه ورضاء لنفسه فقال الله عز وجل خطاباً للولد :(وَقُل لَّهُمَا قَوۡلٗا كَرِيمٗا) أي وقل لهما قولاً فيه تكريم لهما وتعظيم لفضلهما ومِنَّتَـهِما فيما تحملا منه عناء تربية وإحسان منهما إليك .**

- **التدلل لهما والتواضع بين أيديهما تخفيفاً على أنفسهما من مشاعر الضعف والتناقص في مختلف القوى وهي مشاعر غير سارة بعد ما كانا عليه في شبابهما وكهولتهما من قوة ونشاط وحيوية إذ يجدان في ولدهما ما فقداه في أنفسهما فقال الله عز وجل للولد : (وَٱخۡفِضۡ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحۡمَةِ) في هذه العبارة تشبيه التذلل للوالدين بتذلل الطائر حين يخفض جناحه منكسراً لفراخه أو لزوجه أو لغيرهما ولكن أضمر التشبيه فلم يذكر لفظ المشبه به وإنما كنى عنه بشيء من صفاته وهو الجناح وأضيف هذا المكنى به إلى المشبه فالمعنى ليكن أيها الولد ذُلُّكَ لوالديك كطائر يخفض جناحه تذللاً من الرحمة ويسمى هذا تشبيه بليغ مكنى فيه عن المشبه به ببعض لوازمه وذكر قيد من الرحمة لاستبعاد التذلل نفاقاً ظاهرياً أو بدافع الطمع بشيء من أموالهما أو نحو ذلك من مصالح دنيوية وهذه الرحمة التي يدعو بها الولد لوالديه تشمل دفع كل سوء عنهما وجلب كل خير لهما .**

- **الدعاء لهما إذ دعاء الولد لوالديه هو من أعمالهما ولو ماتا فقال الله عز وجل :(وَقُل رَّبِّ ٱرۡحَمۡهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرٗا) والكاف في كما للتعليل أي**

لأجل أنهما ربياني حالة كوني صغيراً لا أستطيع أن أقوم بشؤوني لنفسي ولما بالغ هذه المبالغة في الأمر ببر الوالدين حتى إنه لم يرخص في أدنى كلمة قد تتفلت من المتضجر أعقب ذلك ببيان رفع الحرج عمن أساء ثم أسرع فتاب ولم يكن قلبه منطوياً إلا على الخير والبر والتزام أمر الله عز وجل فقال (رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ ۚ إِن تَكُونُوا صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّابِينَ غَفُورًا) **.**

(٣) وينتقل البيان القرآني إلى المبدأ الثالث وهو الوفاء بحق القرابة والرحم خاصة وبحق عموم الفقراء والمساكين عامة وتأمل الأمر جيداً (وَآتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ **....) ليس الأمر هنا بالإحسان والرفق ولكنه أمر بإعطائهم الحق الذي لهم عليه حتى لا تتصور أن لك بذلك عليهم منة وأنك تمنحهم من حقك الذي هو لك لا لا الأمر غير ذلك أنت مأمور بإعطائهم الحق الذي لهم عليك أما الأمر بالإحسان إلى الوالدين فليس فيه مثار لهذا التصور وذلك لأن الولد مهما بالغ في الإحسان إلى والديه فإنه لن يفي لهما بجزء من حقهما السابق عليه ولما كان الوفاء للأقارب والمعوزين بحقوقهم يقتضي حجز المال عن تبديده في الجهات الباطلة نهى الله عز وجل عن ذلك بقوله ولا تبذر تبذيرا والمفعول المطلق لبيان النهي عن التبذير الذي لا مصوغ له إلاّ التبذير المجرد وذلك لإخراج صور من الإنفاق قد تظهر في مظهر التبذير ولكنها ليست في الحقيقة كذلك إذ يقتضيها مصالح وأسباب مشروعة معينة .**

ثم نبه الله عز وجل على قبح التبذير بإضافته إلى أفعال الشياطين فقال عز وجل (إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ ۖ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا) **وفي هذا إلماح إلى أن عادة تبذير المال وتبديده إنما تتمكن بتغلب الوساوس الشيطانية لا أكثر .**

ولكن أرأيت لو لم يكن الإنسان موسراً بالمال الذي منه يعطي حق القرابة والمحتاجين فأعرض عنهم عجزاً عن العون لا استكباراً عن أداء الحق ؟ عالج القرآن هذه الحالة بأسلوب بليغ رائع قال تعالى: (وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ

ٱبۡتِغَآءَ رَحۡمَةٖ مِّن رَّبِّكَ تَرۡجُوهَا فَقُل لَّهُمۡ قَوۡلٗا مَّيۡسُورٗا) أي مهما اضطررت إلى الإعراض عنهم بسبب الفقر والعوز اللذين نتأمل بهما فرج الله ورحمته فقل لهما في ذلك كلاماً سهلاً ليناً وعدهم وعداً جميلاً فالميسور هنا مفعول بمعنى الفاعل أي يسر ضرهم عليهم بكلامك الجميل لهم .

(٤) ويأتي بعد هذا المبدأ الرابع في تنظيم الإنفاق فيأتي الخطاب لكافة العباد أن يكون الإنفاق قائماً على العدل بين التقتير والنحل المعيب من جانب والإسراف والتبذير المقيت من جانب آخر ولكن القرآن يعبر عن هذا المعنى بإخراجه في صورة محسوسة متخيلة فيقول : (وَلَا تَجۡعَلۡ يَدَكَ مَغۡلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبۡسُطۡهَا كُلَّ ٱلۡبَسۡطِ فَتَقۡعُدَ مَلُومٗا مَّحۡسُورًا) فيا لها من استعارة تمثيلة رائعة .

ويأتي بعد هذا قوله تعالى : (إِنَّ رَبَّكَ يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقۡدِرُۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرَۢا بَصِيرٗا) وهي واقعة موقع التعليل لما قبلها أي فإذا كان مصدر رزقك هو الله عز وجل يبسطه إذا شاء ويضيقه عندما يريد فالتزم قانون الإنفاق الذي أمرك به فإنه تعالى بك خبير بصير يعلم تنفيذك لهذا القانون من عدمه .

(٥) ثم يأتي المبدأ الخامس ينهى عن قتل الأولاد مخافة الفقر قال تعالى : (وَلَا تَقۡتُلُوٓاْ أَوۡلَٰدَكُمۡ خَشۡيَةَ إِمۡلَٰقٖۖ نَّحۡنُ نَرۡزُقُهُمۡ وَإِيَّاكُمۡۚ إِنَّ قَتۡلَهُمۡ كَانَ خِطۡـٔٗا كَبِيرٗا) وأصل أملق بمعنى التصق بالمَلَقَات وهي حجارة رقاق ملساء مكنّى بذلك عن الفقر والحاجة وفي تقديم ضمير الأطفال في الرزق على الآباء إعلام بأن رزق هؤلاء مقدر مهيأ قبل رزقهم هم فلا يتوهموا أن لهم أي تأثير في رزقهم حتى ولا التأثير الشكلي الذي يتجلى في مظهر كونهم وسطاء لهم في الرزق والرعاية .

وحينما نهى الله في سورة الأنعام عن قتل أولادهم من أجل وقوع الفقر بهم فعلاً قائلاً لا تقتلوا أولادكم من إملاق لم يقدم ضمير الأطفال كما فعل هنا ذلك لأن خوف الآباء هناك إنما هو على أنفسهم وأولادهم معاً أو هو على أنفسهم قبل أولادهم على خلاف ذلك هنا .

ومن أجل وضوح كل ذلك فقد كان قتلهم خطئاً كبيراً وخطء بكسر الخاء مصدر خطئ يخطأ كأثم وزناً ومعنى فهو أبلغ وأشد من الخطأ بفتح الخاء والطاء إذ هو الإتيان بما لا ينبغي من غير قصد .
(٦) ويأتي المبدأ السادس يتحدث عن أهم وأخطر مبدأ من المبادئ المتعلقة بالأسرة فيقول الله عز وجل : (وَلَا تَقْرَبُواْ ٱلزِّنَىٰٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَـٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلاً) والمنهي عنه في الآية الزنى ولكن الآية لا تنهى عن مباشرة ارتكابه فقط بل تنهى عن مجرد قربه والدنو إليه ففي الآية تقرير واضح للنهي عن مباشرة أسبابه وذرائعه ومقدماته كاختلاط وخلوة وتبرج ونحوه . ذلك لأن القرب ليس إلا كناية عن ممارسة هذه الدوافع والأسباب وفي النهي عن القرب كذلك إشارة إلى عظيم خطورة هذه الفاحشة وأن عدم مقارفتها لا يكون إلا بالتباعد عن أسبابها وذرائعها القريبة والبعيدة .
(٧) ويأتي المبدأ السابع للنهي عن القتل قال تعالى : (وَلَا تَقْتُلُواْ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۗ وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلْطَـٰنًا فَلَا يُسْرِف فِّى ٱلْقَتْلِ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ مَنصُورًا) الأصل في كل روح أن تكون مصونة عن الإزهاق وما يخالف هذا الأصل إنما يأتي لعارض ، وسلطان الولي منحه الخيار بأحد أمرين إما القصاص القود منه بعد حكم قضائي وبإشراف القاضي وإما العفو عنه على الدية أو مجاناً كما تبث في السنة .
ثم حذر الولي من الإسراف في القتل حتى لا يتجاوز حقه إلى حد الإنتقام بصوره المختلفة ومع هذا النهي تطمئنه إلى أنه واصل إلى حقه قال تعالى : (إِنَّهُۥ كَانَ مَنصُورًا) تأمل صيغة الماضي المصدرة بأن المؤكدة الدالة على تأكيد الوقوع لحصول مزيد من التطمين لخاطر صاحب النفس الملتاعة المتأثرة من الأولياء .
(٨) ويأتي المبدأ الثامن يدعو إلى الرأفة باليتيم والنظر في ماله بالحفظ والصيانة قال تعالى : (وَلَا تَقْرَبُواْ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ ۚ وَأَوْفُواْ بِٱلْعَهْدِ ۖ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولاً) وفي صيغة لا تقربوا إشارة إلى الابتعاد

عن الأسباب والدرائع المؤدية إلى ذلك وختم هذا الأمر بتذكير ولي اليتيم بالعهد الذي قام بينه وبين والد اليتيم بأن عليه الوفاء بالعهد الذي أخذه على نفسه (إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولاً) أي إن العهد سيسأل عما قد فعل به من حفظ أو ضياع له أخرج العهد في صورة إنسان تجسدت فيه الأمانة وكلمة الشرف ليوجه إليه الخطاب والسؤال .

(٩) ويأتي المبدأ التاسع يتحدث عن الأمانة وضرورة الوفاء بالعهد قال تعالى (وَأَوْفُواْ ٱلْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُواْ بِٱلْقِسْطَاسِ ٱلْمُسْتَقِيمِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً) .

(١٠) ويأتي المبدأ العاشر نهياً وتحذيراً عن اتباع أو تبني ما لم تعلم حقيقته من الأمور وهو مبدأ ذو علاقة كبرى بتربية الفرد والمجتمع وإليه يعود الأمر في معالجة معظم المشاكل والقضايا التي يشكو منها الباحثون والمفكرون في كل عهد وظرف .

ولكن انظر إلى الأسلوب الذي أخرج به البيان الإلهي هذا المعنى : (وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَـٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولاً) وتقف بمعنى تتبع من قفا أثره أي اتبعه فهو يقول : لا تكن في اتباعك لما لا تعلم حقيقته من عقيدة أو قول أو فعل مثل من يتبع سبيلاً مجهولاً لا يدري إلى ما سيوصله فهو يشبه المجهول الذي يسارع فيه الإنسان دون علم حقيقي به بالطريق التائهة التي لا يدري نهايتها إذ يقتحمها السالك ظاناً بمجرد وهمه أنه سيصل منه إلى بعض ما يبتغيه .

ثم يعلل هذا النهي الخطير بأن كلاً من السمع والبصر والعقل إنما هو أمانة استودعتها أيها الإنسان لتستعملها في درك الأمور والتحقق منها قبل الخوض فيها ولا جرم أنك ستسأل عن هذه الأمانة وستحاسب على تضييعها وعدم استرشادك بها .

ثم إن الجملة في دلالتها على هذا المعنى تحتمل أحد تأويلين :

- الأول : أن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان مسؤولاً عن نفسه يوم القيامة ، فاسم كان ضمير عائد إلى كل من السمع والبصر والفؤاد

الآيـة علــى هذا التأويل جاريـة على غرار مـا قلنـاه فـي (إِنَّ ٱلۡعَهۡدَ كَانَ مَسۡـُٔولاً) و (وَإِذَا ٱلۡمَوۡءُۥدَةُ سُئِلَتۡ) وقد علمت المعنى البلاغي .

◈ الثاني : أن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولا فاسم كان هذا ضمير عائد على الإنسان ، والمعنى فيه واضح .

وقد نزّل الله عز وجل هذه الأعضاء الثلاثة منزلة العقلاء ، بسبب أن قوام عقل الإنسان وفكره بها ، فمن أجل ذلك أشار إليها بما يشار به إلى العاقل وهو : أولئك .

(١١) والمبدأ الأخير مبدأ أخلاقي ذو اتصال مباشر بالذي قبله ، بل بينهما تـلازم فـي الـسلب والإيجـاب ، وهـو تحـذير الإنـسان مـن أن يـسلم نفـسه للغرور الذي ينسيه حقيقة ذاته فيتعاظم ويتكبر وكل مـا حولـه مـن النـاس والمخلوقات مما لا موجب للتعاظم عليه .

وانظر مـا يقول الخطـاب الإلهـي فـي ذلـك : (وَلَا تَمۡشِ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَرَحًاۖ إِنَّكَ لَن تَخۡرِقَ ٱلۡأَرۡضَ وَلَن تَبۡلُغَ ٱلۡجِبَالَ طُولاً) والآية كما ترى تفيض بـالصور المختلفـة التي تسخر من هذا الذي يمشي متكبراً على الأرض .

فمن ذلك أنـه قيـد المشي بـالأرض ، وهـو شـيء معلـوم ، إشعاراً بـأن هذا الذي يمشي على الأرض لا يليق بحاله أن يتكبر مِن فوقها .

ومن ذلك أنـه أخبـر بمـا هو معلوم ، وهـو قولـه : (إِنَّكَ لَن تَخۡرِقَ ٱلۡأَرۡضَ وَلَن تَبۡلُغَ ٱلۡجِبَالَ طُولاً) تنزيلاً للمتكبر المتجبر منزلـة من غابت عنـه هذه الحقيقـة الواضحة ، فهو يحتاج إلى من ينبهه إليها

ومن ذلك هذه الـصورة الـساخرة التـي تتركهـا الجملـة فـي الـذهن : (إِنَّكَ لَن تَخۡرِقَ ٱلۡأَرۡضَ وَلَن تَبۡلُغَ ٱلۡجِبَالَ طُولاً) إنهـا تـصور لـك مـا يفعلـه المتعـاظم فـي سـيره إذ يـضرب بقدمـه الأرض كأنــه يفاخرهـا ويـشعرها بـشأنه ، ويرفـع رأسه متطاولاً كأنما يريد أن يطاول بهامته ذرى الجبـال مـع أنـه هو هو ، ذلك المخلوق الضعيف الذي لن يخرق أرضاً ولن يطاول جبلا .

وبعد أن انتهى الحديث عن تفصيل هذه المبادئ الهامة في حياة الإنسان ، عاد الخطاب الإلهي إلى رسول الله ﷺ مشيراً إلى كل هذه المبادئ قائلاً : ذلك ما أوحى إليك ربك من الحكمة ، أي من معرفة الحق ، فالحكمة هي اكتشاف الحق الذي قد يخفى على غير ذي البصيرة ، وكان الخطاب من قبل ذلك متجهاً إلى الإنسان عموماً ، فمرة يخاطبه بصيغة الجماعة كما في قوله : (وَلَا تَقۡرَبُواْ مَالَ ٱلۡيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ **) ومرة يخاطب فيه الفرد المتكرر كما في قوله : (**وَلَا تَقۡفُ مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌ **) .**

ثم يختتم هذه المبادئ بما قد بدأ به ، وهو مبدأ الإيمان بالله عز وجل ووحدانيته قائلاً : (وَلَا تَجۡعَلۡ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتُلۡقَىٰ فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدۡحُورًا **) إشعاراً بأن ملاك هذه المبادئ كلها وضمان تطبيقها الوحيد هو الإيمان بالله عز وجل إيماناً صادقاً فما لم يوجد الإيمان به فإن هذه المبادئ لن تنفذ كما ينبغي مهما آمن الناس بأنها حق لا مرية فيه إذ أن مجرد الإيمان بالفضيلة لا يكفي دافعاً إلى التمسك بها وكم في الناس من يؤمن بأن الحق حق ومع ذلك فهو لا يقوى على تنفيذه ، ويؤمن بأن الباطل باطل ومع ذلك لا يستطيع التخلص من ظله والله سبحانه أعلم .**

بعض الصور البلاغية في الآيات :

- **في قوله تعالى : (** وَلَا تَجۡعَلۡ يَدَكَ مَغۡلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبۡسُطۡهَا كُلَّ ٱلۡبَسۡطِ **)**

استعارة تمثيلية لمنع الشحيح وإعطاء المسرف فقد شبه حال البخيل في امتناعه من الإنفاق بحال من يده مغلولة إلى عنقه فهو لا يقدر على التصرف في شيء وشبه حال المسرف المبذر المِتْلافِ بحال من يبسط يده كل البسط فلا يبقي على شيء في كفه ولا يدخر شيئاً ينفعه في حال الحاجة ليخلص إلى نتيجة مجدية وهي التوسط بين الأمرين .

- **الاطناب في قوله تعالى : (** وَمَن قُتِلَ مَظۡلُومًا فَقَدۡ جَعَلۡنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلۡطَٰنًا فَلَا يُسۡرِف فِّي ٱلۡقَتۡلِۖ إِنَّهُۥ كَانَ مَنصُورًا **) فإن معنى هذه الآية جاء موجزا في قوله تعالى : (** وَلَكُمۡ فِي ٱلۡقِصَاصِ حَيَوٰةٌ **) .**

النموذج الثاني في الحجاج والنقاش
من سورة النمل آية ٥٩:٦٦

قال تعالى : (قُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصۡطَفَىٰٓۗ ءَآللَّهُ خَيۡرٌ أَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴿٥٩﴾ أَمَّنۡ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتۡنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهۡجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمۡ أَن تُنۢبِتُواْ شَجَرَهَآۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِۚ بَلۡ هُمۡ قَوۡمٌ يَعۡدِلُونَ ﴿٦٠﴾ أَمَّن جَعَلَ ٱلۡأَرۡضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَٰلَهَآ أَنۡهَٰرًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَٰسِيَ وَجَعَلَ بَيۡنَ ٱلۡبَحۡرَيۡنِ حَاجِزًاۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِۚ بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٦١﴾ أَمَّن يُجِيبُ ٱلۡمُضۡطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكۡشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجۡعَلُكُمۡ خُلَفَآءَ ٱلۡأَرۡضِۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾ أَمَّن يَهۡدِيكُمۡ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ وَمَن يُرۡسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشۡرَۢا بَيۡنَ يَدَيۡ رَحۡمَتِهِۦٓۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِۚ تَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴿٦٣﴾ أَمَّن يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَمَن يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِۚ قُلۡ هَاتُواْ بُرۡهَٰنَكُمۡ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿٦٤﴾ قُل لَّا يَعۡلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ٱلۡغَيۡبَ إِلَّا ٱللَّهُۚ وَمَا يَشۡعُرُونَ أَيَّانَ يُبۡعَثُونَ ﴿٦٥﴾ بَلِ ٱدَّٰرَكَ عِلۡمُهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِۚ بَلۡ هُمۡ فِي شَكٍّ مِّنۡهَاۖ بَلۡ هُم مِّنۡهَا عَمُونَ)

تعريف عام بالآيات :

تأتي هذه الآيات بعد عرض مفصل لقصص بعض الأمم السابقة مع أنبيائهم الذين بعثوا إليهم وكيفية إهلاك الله لتلك الأمم بسبب عتوهم وطغيانهم في الأرض ، ولما كان في هذه القصص عبرة لأمة محمد ﷺ وفيها الدليل على وحدانية الله تعالى ووجوده والرد على الباطل الذي يتمسك به الكافرون والجاحدون عقب الله عليها بالإلتفات إلى هؤلاء الكافرين يستنهض عقولهم للعبرة والتأمل ويناقشهم في باطلهم الذي يحتضنونه بمختلف البراهين والأدلة القاطعة التي يرونها من حولهم وهذه الآيات مشتملة على تعليم مناظرة جدلية للرسول محمد ﷺ ولكل داع إلى الله من أمته ﷺ كيف يناظر المشركين ويقيم عليهم حجة الله .

وهذه المناظرة مشتملة على مقدمة وخمس مراحل كل مرحلة منها تعتمد على عرض بعض الظواهر الكونية الدالة على وحدانية الخالق جل جلاله.

مقدمة تعليم المناظرة الجدلية للمشركين :

قــال الله عــز وجــل : (قُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصۡطَفَىٰٓۗ ءَآللَّهُ خَيۡرٌ أَمَّا يُشۡرِكُونَ **)**٥٩

اشتملت هذه الآية على بيان كيفية افتتاح المناظرة وأن من آداب الداعي إلى الله المؤمن المسلم أن يفتتحها بخطبة فيها ثلاث فقرات :

الفقرة الأولى : البدء بحمد لله دل عليه قوله تعالى : (قُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ **) أي ابدأ مناظرتك بأن تحمد الله .**

الفقرة الثانية : أن يسلم بعد حمد الله على أنبيائه ورسله دل على هذا قوله تعالى : (وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصۡطَفَىٰٓۗ **) أي وقل سلام الله على عباد الله الذين اصطفاهم ومعلوم من نصوص القرآن أن الذين اصطفاهم الله من عباده وأوصى بالسلام عليهم هم رسله ويدخل في عموم الاصطفاء الأنبياء وإن لم يكونوا رسلاً وقد يلحق بهم حملة رسالات المرسلين من أممهم .**

سلام مبتدأ وخبره على عباده الذين اصطفى وسلام نكرة وسوغ الابتداء به أنه دعاء وتحية .

الفقرة الثالثة : أن يبين الموضوع الذي تدور حوله فيما بعد المناظرة الدينية دل على هذا قول الله عز وجل في التعليم : (ءَآللَّهُ خَيۡرٌ أَمَّا يُشۡرِكُونَ **)**

أي ستدور المناظرة التالية حول أيَّ الاحتمالين المتضادين التاليين هو الحق والخير :

الأول : احتمال توحيد الله في ربوبيته وإلهيته .

الثاني : احتمال اتخاذ شركاء لله في ربوبيته أو إلهيته .

أيهما خير مطابق للحق وذو نتائج تحقق السعادة وأيهما باطل وذو نتائج تجلب الشقاء والتعاسة هل التوحيد أم الشرك .

عبارة أما أصلها أم وما أدغمت الميم بالميم فكتبت أما وأم هذه هي المتصلة فإن قلت لما جاء عرض الموضوع بأسلوب الاستفهام قلنا لأن المناظرات تعتمد على طرح القضايا بهذا الأسلوب الذي ينبغي فيه عدم

التحيز كما أوضح ذلك ربنا معلماً الداعي إلى الله أن يعلن تجرده من الإنحياز التعصبي لمعتقده لدى المناظرة فيقول لمن يناظرهم (وَإِنَّآ أَوۡ إِيَّاكُمۡ لَعَلَىٰ هُدًى أَوۡ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ) سبأ ٢٤ .

أي بما أننا بحسب مُعْتَقَدَيْنَا على طرفين متناقضين فلا بد أن يكون أحد هذين المعتقدين حقاً وأن يكون الآخر باطلاً ولا بد أن يكون كل من فريقينا عرضة لأن يكون على هدى متمكنا منه بالبرهان أو متوغلاً في ضلال عن الحق والهدى مبين لا حجة له تعذره في ضلاله ، وهذا غاية في التجرد بحثاً عن الحق بأسلوب المناظرة .

المرحلة الأولى من مراحل المناظرة :

قال الله عز وجل : (أَمَّنۡ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَنۢبَتۡنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهۡجَةٖ مَّا كَانَ لَكُمۡ أَن تُنۢبِتُواْ شَجَرَهَآۗ أَءِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِۚ بَلۡ هُمۡ قَوۡمٞ يَعۡدِلُونَ)

أمن أصلها أم ومن أدغمت الميم بالميم في النطق وكتبت ميماً مشددة أم هي المنقطعة وهي بمعنى بل للإضراب الانتقالي عن الكلام السابق إلى سؤال آخر ، ومن اسم استفهام وهو مبتدأ وخبره جملة خلق السموات والأرض وما عطف عليها والمعنى أيها المناظر الداعي إلى الله وجه لمن تناظره من المشركين سؤالك الاستفهامي التالي :

من خلق السموات والأرض ؟ وأنزل للناس من السماء ماء فأنبت بعظمه وجلاله وربوبيته لهم به حدائق ذات بهجة أي حسن ونضارة وجمال وهذه الحدائق ما كان باستطاعة الناس جميعا أن ينبتوا شجرها ؟

هذا السؤال يجر إلى بحوث علمية كثيرة جداً عن خلق السموات والأرض والماء والنبات والأشجار من نواحي متعددة من حيث بدأها واستمرارها وجمالها وإتقانها وبديع نظامها إلى غير ذلك .

والمناظر المنصف من المشركين لابد أن يعترف بأن الخالق المتقن لكل ذلك هو الله رب العالمين فإذا اعترف بذلك وأعلن أن الخالق الرب لكل ذلك واحد لا شريك له في ربوبيته يقال له (أَءِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِ) أي بما أن الرب

الخالق واحد وهو ما ثبت لدينا بالبراهين فهو وحده المستحق للعبادة ولا يصح عقلاً أن يكون له شريك في إلهيته هذا الرب هو الله جل جلاله فإن أصر على شركه تسنى للمناظر المؤمن الداعي إلى الله أن يقول بأسلوب المستفهم استفهاماً تعجبياً انكارياً (أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ) وفي نهاية هذا التعليم أخبرنا ربنا سبحانه وتعالى أن المشركين يعدلون عن الحق إلى الباطل ويفترون على الله فيجعلون له شريكاً معادلاً مكافئاً في صفات الربوبية أو بعضها تعالى الله عن اعتقادهم الباطل قال تعالى : (بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ) يقال لغة عدل يعدل عن الصراط أي حاد عنه وخرج عن حدوده ويقال لغة عدل الشيء بالشيء أي سواه به وجعله مثله وهذا قد يكون إدعاء كاذباً أو اعتقاداً باطلا .

المرحلة الثانية من المناظرة :

قال الله عز وجل : (أَمَّن جَعَلَ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَٰلَهَآ أَنْهَٰرًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَٰسِىَ وَجَعَلَ بَيْنَ ٱلْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ) ٦١

طرح السؤال في هذا كسابقه أم المنقطعة وهي بمعنى بل للإضراب ومن اسم استفهام وهو مبتدأ وجملة جعل الأرض قراراً خبره .

أي بل من هذا العظيم الحكيم القدير البديع الذي جعل الأرض بعد أن فصلها مما كانت عليه رتقاً مع غيرها من أجرام السماء كوكباً قراراً مطمئناً لا اضطراب فيه ولا اهتزاز ولا تموج إلا ما تقتضيه حكمته عند الزلازل التعديلية التكوينية لأوضاع الأرض أو العقابية لإنذار المجرمين من البشر عليه .

ومن هذا العظيم البديع الحكيم القدير الذي جعل بتدبيره التكويني خلال الأرض أنهارا يجري فيها الماء الحلو الطهور السائغ للشاربين والصالح لسقيا النباتات التي لا تنبت ولا تنمو إلا بالماء .

و(خِلَٰلَهَآ) منصوب على الظرفية أي بل من جعل أنهاراً في خلال الأرض قدم لفظ (خِلَٰلَهَآ) لأن فيه ضميراً يعود على الأرض التي هي موضوع طرح السؤال .

ومن هذا العظيم البديع الحكيم القدير المدبر للأمور الذي جعل للأرض جبالاً رواسي تثبت قشرتها حتى لا تتموج وترتج أو يحصل في بعض طبقاتها انقلاب أو مَيَدان وجاءت عبارة لها للدلالة على أن الجبال جزء من الأرض .

وكلمة رواسي جمع راسية والراسي هو الثابت الراسخ والمراد بالرواسي الجبال في الأرض فمن صفاتها أنها ثابتة راسخة ذات عمق في الأرض يجعلها راسية وفي إيراد الجمع إشارة إلى تنوع الجبال في تكوينها وفي صفاتها .

ومن هذا العظيم الحكيم المدبر القدير الذي جعل بين البحر الحلو والبحر المالح حاجزاً يمنع من امتزاج أحدهما بالآخر .

والسؤال عن الأرض يجر إلى بحوث مستفيضة جداً حول تكوين الأرض وكذا السؤال عن الأنهار يجر إلى بحوث علمية مستفيضة حول تكوين المياه الحلوة السائغة للشاربين وحول تجميعها وإجرائها في أنهار كبرى وصغرى إلى غير ذلك من البحوث وهكذا في الجبال والمناظر المنصف من المشركين إذا طرحت عليه أسئلة هذا المرحلة الثانية من مراحل المناظرة وعرضت عليه الأدلة العلمية المثبتة للحق لابد أن يعترف بأن الخالق الحكيم البديع المدبر الموجد لهذه الظواهر الكونية التي هي آيات من آيات الله الكونية دالات على طائفة من الصفات التي لا تكون لأحد سواه هو الله عز وجل وحده لا شريك له في ربوبيته وحين يعترف بهذه الحقيقة ويعلن أن الخالق الرب لكل ذلك هو واحد لا شريك له يقال له (أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ) أي بما أن الرب الخالق واحد هو ما ثبت لنا بالبراهين فهو وحده المستحق لأن يكون إلهاً ولا يصح عقلاً أن يكون له شريك في إلهيته وهذا الرب هو الله عز وجل فإن أصر على شركه عندئذ يتسنى للمناظر المؤمن الداعي إلى الله أن يقول بأسلوب المستفهم استفهاماً تعجبياً إنكارياً (أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ) .

وفي نهاية التعليم أخبرنا ربنا عز وجل أن أكثر المشركين لا يعلمون فقال الله عز وجل : (بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ) أي بل أكثر المشركين مقلدون

لأئمتهم وقادتهم لا يعلمون ولا توجد لديهم الدوافع لأن يبحثوا بأنفسهم حتى يفصلوا الحق عن الباطل في قضيتي التوحيد والشرك فيعلموا أن التوحيد حق وأن الشرك باطل وأن جزاء الشرك الخلود في عذاب النار يوم الدين .

وفي هذا البيان توجيه كنائي للدعاة إلى الله أن يجتهدوا في تعليم الاتباع المقلدين وإقناعهم بالحق فقد تنجلي الغشاوات عن بصائرهم وعقولهم فيؤمن بالحق أهل الرشد منهم ولا يكون للمعاند المجرم عذر عند ربه يوم الدين بجهله .

المرحلة الثالثة من مراحل المناظرة :

قال الله عز وجل : (أَمَّن يُجِيبُ ٱلۡمُضۡطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكۡشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجۡعَلُكُمۡ خُلَفَآءَ ٱلۡأَرۡضِۗ أَءِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِۚ قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ) ٦٢

في هذه المرحلة الثالثة صيغة السؤال مماثلة لما سبق في المرحلتين الأولى والثانية والسؤال المطروح في مناظرة المشرك الآن هو حول آيتين من آيات الله في كونه تتعلقان بتصاريف الله في الناس .

الآية الأولى : إجابة المضطر الذي يدعو لكشف السوء عنه .

الآية الثانية : جعل الناس خلفاء الأرض يخلف بعضهم بعضاً فيها .

جعل الله عز وجل من آيات وجوده أن من دعاه مضطراً اضطراراً حقيقياً ولو كان كافراً أجاب دعاءه وكشف ما به من سوء والتجربة في هذا أكبر برهان فليجرب المشركون دعاءهم لله رب العالمين في الأحوال التي يكونون مضطرين فيها فإنهم سيجدون أن الله عز وجل سيكشف ما بهم من سوء ليثبت لهم بالبرهان التجريبي أنه الإله الحق والرب السميع المجيب الذي بيده ملكوت كل شيء أما آلهتهم التي اتخذوها من دون الله فإنها لا تكشف السوء عنهم ولا تنفعهم بنافعة بل لا تنفع نفسها ولا تضر فالمعنى بل من هذا العظيم الغيبي عن الحواس الذي يجيب المضطر إذا دعاه ؟

أجروا أيها المشركون هذه التجربة في حياتكم فإنكم ستجدون الله عز وجل يجيب أدعيتكم ويكشف السوء عنكم لكنكم إذا دعوتم شركاءكم فلن

يستجيبوا لكم ولن يكشفوا السوء عنكم إن هذه التجربة تقنع المنصفين أهل الرشد منكم بأنه لا رب إلا الله فلا إله حتماً إلا هو .
(وَيَجۡعَلُكُمۡ خُلَفَآءَ ٱلۡأَرۡضِۗ) أي ومن هذا العظيم القدير الحكيم الخبير الذي يخلق أجيالكم جيلاً سلالة من جيل ويجعل الأجيال اللاحقة خلفاء في الأرض للأجيال السابقة في سكناها والانتفاع بخيراتها .
إن أهل العقل والرشد المنصفين لا بد أن يقولوا إن الله عز وجل هو الرب الذي جعل خلقه للناس على وفق سنة الأجيال المتلاحقة التي يخلف اللاحق منها السابق .
وحين يعترف المشرك بهذه الحقيقة حول السؤالين ويعلن أن الله عز وجل هو الذي يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء وهو الذي يخلق الناس وفق سنة الأجيال التي يخلف بعضهم بعضاً في سكنى الأرض والانتفاع بخيراتها فإن أصر المشرك على شركه عندئذٍ يتسنى للمؤمن المناظر الداعي إلى الله أن يقول بأسلوب المستفهم استفهاماً تعجبياً إنكارياً (أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِۚ) .
وفي نهاية التعليم وجه الله عز وجل خطابه للمشركين قائلا لهم قليلاً ما تذكرون أي تذكراً قليلاً جدا تتذكرون فلفظ قليلا صفة لمفعول مطلق محذوف مقدم على فعله ولفظ ما إبهامية لتأكيد القلة وأصل تذكرون تتذكرون حذفت التاء الثانية تخفيفاً .
المرحلة الرابعة من مراحل المناظرة :
قال الله تعالى : (أَمَّن يَهۡدِيكُمۡ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ وَمَن يُرۡسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشۡرَۢا بَيۡنَ يَدَيۡ رَحۡمَتِهِۦٓۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِۚ تَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشۡرِكُونَ) ٦٣
في هذه المرحلة صيغة السؤال مماثلة لما سبق
من هذا العظيم المتقن الحكيم الذي جعل بتدبيره في كونه ما يهتدي به المسافرون في ظلمات البر والبحر والجو
ومن هذا العظيم المتقن الحكيم الذي يرسل الرياح بشراً بين يدي رحمته

إن طرح هذين السؤالين وبيان ما يستتبعان من بحوث علمية توصل إليها العلماء الكونيون مما يدفع العاقل المنصف الرشيد إلى أن يعلن اعترافه بأن الهادي الحق في ظلمات البر والبحر والجو وأن مرسل الرياح بشراً بين يدي رحمته هو الخالق الرب جل جلاله وعظم سلطانه عندئذ يقول له المناظر المؤمن الداعي إلى الله (أَءِلَـٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ)

أي إذا اعترفت بأن الرب في الكون هو الله وحده أفمن العقل والرشد والحكمة أن تتخذ إلهاً من دونه لا يملك لك ولا لنفسه نفعاً ولا ضراً .
وإن أصر المشرك على شركه تسنى للمناظر الداعي إلى الله أن يقول له على سبيل الإنكار والتعنيف والتأنيب والتعجب من عناده (أَءِلَـٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ) .

وفي نهاية هذه المرحلة من التعليم يقول الله عز وجل معقباً : (تَعَـٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ) أي تسامى وترفع الله الرب الخالق لكل شيء عن أن يكافئه في إلهيته أحد .

المرحلة الأخيرة من مراحل المناظرة :

قال تعالى : (أَمَّن يَبْدَؤُاْ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَمَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَـٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قُلْ هَاتُواْ بُرْهَـٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ) ٦٤

صيغة السؤال مماثلة تماماً لما تقدم في المراحل السابقة
والسؤال المطروح هنا حول آيتين من آيات الله في كونه
الآية الأولى : بدء الخلق والقدرة على إعادته بعد إفنائه
الآية الثانية : رزق الناس ويلحق بهم سائر الأحياء من السماء والأرض
لا أحد يدعي أو يدعى له أنه هو الذي يبدأ خلق المخلوقات سواء أكانت أحياء أم نباتات أم غير ذلك غير الله الخالق الرب الغيبي عن الإدراكات الحسية والذي هو معلوم الوجود بالبراهين العقلية وتدرك العقول طائفة من صفاته الجليلة استنباطاً من أثاره في كونه ولما كانت ظاهرة بدء الخلق ظاهرة متكررة في الأحياء جاء في البيان استعمال الفعل المضارع يبدؤ والقادر على بدء الخلق المشاهد بالتكرار لابد أن يكون قادراً على إعادة ما كان قد خلق بعد إفنائه له والبرهان العقلي في هذا كاف لإثبات

هـذه الحقيقـة لهـذا جـاء فـي الـسؤال التعليمـي قولـه تعـالى (ثُمَّ يُعِيدُهُۥ)

والسؤال عن بدء الخلق يجر إلى استعراض بحوث علمية واسعة عن نشأة الأكوان ونشأة الأحياء ونشأة الإنسان وهي تهدي بما فيها من إتقان عجيب إلى أن لهذا الكون كله خالقاً عظيماً واحداً أحد لا شريك لـه لـه كل صفات الكمال وهو منزه عن كل صفات النقصان .

فإذا اعترف المنصف الرشيد العاقل قال له المناظر المؤمن الداعي إلى الله (أَءِلَـٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ)

أي بما أنك اعترفت بأن الله هو الذي يبدؤ الخلق وهو القدير على إعادته أفيليق بك أن تعبد غيره فتتخذ إلهاً معه تجعله شريكاً له في إلهيته .

وإن أصر المشرك على شركه تسنى للمناظر الداعي إلى الله أن يقول له على سبيل الإنكار والتعنيف والتأنيب والتعجب من عناده (أَءِلَـٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ)

فالاستفهام يصلح توجيهه في الحالتين للدلالة على الموقفين .

ومن العظيم القدير الخلاّق المتقن الحكيم الذي يرزقكم أيها المشركون ويرزق الناس جميعاً وسائر الأحياء أخبروني عما تعتقدونه .

إن رزق الناس وسائر الأحياء من السماء يأتي من عدة أسباب لا يقدر على خلقها والتصرف بها على مقتضى الحكمة إلا الله جل جلاله وعظم سلطانه .

وهذه الحقيقة لا يجحدها إلا معاند مجرم لئيم كافر بربه مع علمه بأنه هو الخلاق العليم القدير الحكيم قوله تعالى : (أَءِلَـٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ) سؤال يوجه للمعترف فيكون سؤال توجيه وإقناع بوجوب توحيد الله عز وجل ويوجه السؤال نفسه للمصر على شركه فيكون سؤال إنكار وتعنيف وتأنيب وتعجب من عناده وفي نهاية هذه المراحل من المناظرة يأتي التوجيه الإلهي للكفار المصرين على مواقفهم الشركية هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين في ادعاء أن لله شريكاً في ربوبيته وإلهيته قال تعالى : قُلۡ هَاتُواْ بُرۡهَـٰنَكُمۡ إِن كُنتُمۡ صَـٰدِقِينَ)

بعض الصور البلاغية :

مجاز مرسل حيث أطلق على الغيث لفظ الرحمة لأنه أثر من أثارها فيكون من باب إطلاق السبب وإرادة المسبب .

استعارة في جعل يدين للرحمة تجود بهما .

ثانياً : نماذج من السنة النبوية

١) عن تميم بن أوس الداري رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : (الدين النصيحة ، الدين النصيحة ، الدين النصيحة) قلنا : لمن يا رسول الله ؟ قال : (لله ، ولكتابه ، ولرسوله ، ولأئمة المسلمين وعامتهم) رواه مسلم

١- ترجمة تميم بن أوس راوي الحديث :

هو الصحابي أبو رقية تميم بن أوس بن خارجة الداري ، كان نصرانياً فأسلم سنة تسع للهجرة ، وسبب إسلامه أنه سمع هاتفاً من الجن يقول له وقد استجار بالجن عذ بالله فإن الجن لا تجير أحداً ثم أخبره أن رسول الله ﷺ خرج وأنهم صلوا خلفه بالحجون فانطلق تميم إلى رسول الله فأسلم .

كان كثير العبادة كثير التهجد ، وكان يختم القرآن في ركعة وربما ردد الآية الواحدة الليل كله إلى الفجر .

قال محمد بن المنكدر : إن تميماً الداري نام ليلة لم يقم يتهجد فيها حتى أصبح فقام سنة لم ينم فيها عقوبة للذي صنع .

كانت لتميم الداري كرامات مشهودة ، فقد أخرج أبو نعيم في الدلائل صـ٢١٢ والبيهقي عن معاوية بن حَرْمَل قال : قدمت المدينة فذهب بي تميم الداري إلى طعامه فأكلت أكلاً شديداً وما شبعت من شدة الجوع فقد كنت أقمت في المسجد ثلاثاً لا أطعم شيئاً فبينا نحن ذات يوم إذ خرجت نار بالحرَّة فجاء عمر إلى تميم رضي الله عنهما فقال : قم إلى هذه النار .

فقال : يا أمير المؤمنين من أنا ؟ وما أنا ؟ " يقلل من قيمة نفسه " فلم يزل به حتى قام معه ، قال معاوية بن حرمل : وتبعتهما فانطلقا إلى النار فجعل يحوشها " أي يجمعها " بيده هكذا حتى دخلت الشعب ودخل تميم خلفها ، قال : وجعل عمر يقول : ليس من رأى كمن لم ير!

سكن المدينة ثم انتقل منها إلى الشام بعد مقتل عثمان وأقام بها إلى أن مات وهو أول من أسرج السراج في المسجد .

٢- اللغة والمعنى المراد

الدين النصيحة :

الدين : بكسر الدال يأتي في اللغة دالاً على عدة معان هي :

الجزاء ، والحساب ، والطاعة ، والخضوع ، والذل ، والتعبد ، والعادة ، والشأن والحال ، والسلطان ، والقهر ، والورع ، والإخضاع ، والإذلال ، والاستعباد ، والحكم ، والقضاء ، والنظام والقانون المتَّبع .

وقد أخذ لفظ الدين كل المعاني التي توجبها العلاقة بين الله وعباده المختارين من خلقه .
فالدين عند الله هو الإسلام الشامل لعناصر القاعدة الإيمانية ومفاهيمها ولأحكام شريعته في أوامرها ونواهيها ووصاياها ومواعظها وآدابها وأخلاقها ولقواعد الحساب والجزاء .
والدين من طرف العبد المكلف هو الإيمان بالقاعدة الإيمانية ومفاهيمها والإسلام لله بمعنى : الاستسلام والطاعة والخضوع له وعبادته والإخلاص له ، والتسليم لأحكامه ومقاديره والالتجاء إليه وحده وتوحيده في ربوبيته وإلهيته فلا يشرك العبد بربوبيته أحداً ولا يشرك في عبادته أحداً .
النصيحة : هي إعطاء أو معاملة الناصح غيره بأحسن ما هو له من حق أو واجب أو أحسن ما يطلبه أو ينفعه أو يصلحه .
ويكون ذلك بخلوص ما يقدمه أو يجريه من تعامل من غش أو نقص أو عيب دون بيان أو مخالفة للمطلوب أو لمقتضى الحق أو الواجب ونحو ذلك .
والنصيحة تشمل كل ما فيه إرادة الخير للمنصوح فالنصيحة كلمة عامة شاملة وهي تختلف في تطبيقاتها بحسب الأمر الذي يطلب فيه النصح .
ولأئمة المسلمين وعامتهم :
ولأئمة المسلمين : الأئمة جمع إمام وهو كل من ائتم به قوم وهو الرئيس والقائد وكل ذي سلطان على جماعة من الناس هو إمام لهم لأنهم يأتمون به أي يقتدون .
وعامتهم : هم من عدا الأئمة أي سائر الناس وباقيهم بعد أئمتهم والعامة في اللغة خلاف الخاصة ومعروف أن الخاصة هم من لهم خصوصية عندالرجل فيكون من عداهم عامة بالنسبة إليه .
فائدة : النصح لله والرسول مقدور عليه ولو في حالة عجز المكلف عن بعض الأعمال .
ويلاحظ أن الله عز وجل قد أعفى أهل الأعذار من الخروج إلى القتال في سبيل الله بمناسبة دعوة الرسول ﷺ أصحابه إلى الخروج إلى غزوة تبوك لكنه عز وجل لم يعفهم من شرط النصح لله ورسوله وهو التزام ما يقدرون عليه مما كلفوه بفعل ما أمرهم الله ورسوله به وترك ما نهاهم الله ورسوله عنه ومن النصح أمور جهادية كثيرة يستطيعونها ولو لم يخرجوا إلى القتال

فقال الله عز وجل في سورة التوبة ٩١ : (لَّيْسَ عَلَى ٱلضُّعَفَآءِ وَلَا عَلَى ٱلْمَرْضَىٰ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُواْ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۚ مَا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ)

٣- الشرح العام

مع الحديث في الشرح :

عرفنا خلال شرح المفردات اللغوية أن النصيحة هي : صدق المعاملة وإخلاصها وصفاؤها من الشوائب وبراءتها من كل غش تجاه كل جهة يقضي الحق أو الواجب بالتعامل معها أو تدعو الحاجة أو المصلحة أو الأخلاق أو الآداب إلى التعامل معها ، والصدق والإخلاص وصفاء المعاملة من الشوائب وبراءتها من كل غش أمور تشمل كل حركة إرادية للإنسان في السلوك الظاهر أو السلوك الباطن وهي الحركات الإرادية الداخلية في الفكر والنفس والقلب فتشمل النيات والغايات من الأعمال .

وجهات التعامل تبدأ بالتعامل تجاه الرب الخالق عز وجل وما أنزل من وحي وما بعث من رسول .

ثم بالتعامل مع من تقتضي حركة الحياة أن يجري تعامل معه بأي وجه من وجوه التعامل فهو يشمل أئمة المسلمين وعامتهم وتنقسم العامة إلى أقسامها الطبيعية بدءاً من الأسرة بالتعامل مع الأصول والفروع والأزواج وحواشي النسب ثم الأقرب فالأقرب من مشارك في عرق أو مساكن في وطن .

فالتعامل مع الله بالنصيحة أي بالصدق والإخلاص والصفاء من الشوائب والبراءة من الغش يكون بالإيمان به حقاً وبطاعته وعبادته حقاً وصدقاً وإخلاصاً وبمحبته ودعائه والخضوع له والتقرب إليه بمراضيه .

والتعامل مع ما أنزل الله من وحي بالنصيحة أي بالصدق والإخلاص والصفاء من الشوائب والبراءة من الغش يكون بالإيمان به حقاً وصدقاً ويتعهده تلاوة ويتدبره لتفهم معانيه كما يجب أن يكون التدبر دون أن يتأثر بهوى أو شهوة أو استجابة لذي سلطان أو زيغ في الرأي أو في النفس أو جنوح في العاطفة أو اتباع لوساوس شياطين الإنس والجن .

والتعامل مع الرسول بالنصيحة أي بالصدق والإخلاص والصفاء من الشوائب والبراءة من الغش يكون بالإيمان به حقاً وصدقاً دون رياء أو نفاق وبمحبته

وبطاعته وبإتباع سنته وبتحكيمه في كل ما شجر وبنصرته وموالاته وموالاة من والاه وبمعاداة أعدائه وبالصلاة والسلام عليه ﷺ .
والتعامل مع أئمة المسلمين بالنصيحة أي بالصدق والإخلاص والصفاء من الشوائب والبراءة من الغش يكون بطاعتهم في غير معصية الله ورسوله وبتقديم المشورة الحسنة لهم وبمناصرتهم ومعاونتهم على إقامة حدود الله ونشر دينه وبأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر ونحو ذلك مع تجنب كل مكر بهم وكيد ضدهم .
أما التعامل مع عامة المسلمين بالنصيحة أي بالصدق والإخلاص والصفاء من الشوائب والبراءة من الغش فيكون مع كل دائرة من دوائرهم بحسبها ومع كل نوع من أنواع التعامل بحسبه .
فالتعامل مع أفراد الأسرة له قدر من النصيحة يتلاءم مع وجود العلائق بين أفرادها .
والتعامل مع أفراد القبيلة له قدر من النصيحة يتلاءم مع وجود العلائق بين أفرادها .
كذلك التعامل مع الجيران وأهل الحي الواحد وأهل القرية والمدينة له مقادير من النصيحة تتلاءم مع وجوه العلائق .
ثم يأتي التعامل في حدود أنواع التعامل بين الناس في البيوع وفي العقود وفي العهود وفي أمور مصالح المسلمين العامة والخاصة وفي التعليم وفي التعاون على البر والتقوى إلى غير ذلك مما يصعب حصره فنصيحة البائع تكون في السلعة وفي البيان حولها وفي السعر .
ونصيحة الشاري تكون في الثمن وفي بيان كل ما فيه ومن لا نصيحة عنده في بيعه أو شراءه فلا دين له في تعامله ذلك .
ونصيحة الخاطب تكون ببيان كل ما يهم من يخطبها معرفته من صفات خفية له ونصيحة المخطوبة تكون ببيان كل ما يهم الخاطب معرفته من صفات خفية لها فمن كتم عيوبه منهما ولم يبينها كان غاشاً غير ناصح ومن كان كذلك فلا دين له في تعامله ذلك .
والمستشار مستأمن ونصيحته تكون بأن يقدم لمن استشاره أفضل ما يرى من رأي وتجربة وخبرة فإن أشار عليه بخلاف ذلك كان خائناً وغاشاً غير ناصح ومن كان كذلك في المشورة كان غير ذي دين في تعامله ذلك .

والمعلم مستأمن على من يعلمه ونصيحته تكون بأن يعطي من العلم أصوبه وأنفعه مما يعلم وبأن يبذل غاية جهده في التعليم والتفهيم فإن فعل خلاف ذلك كان مقصراً او غاشاً غير ناصح ومن كان كذلك في التعليم كان غير ذي دين في تعامله ذلك .

والمستأمن على مال أو متاع وديعة عنده مطالب بأن يكون ناصحاً ونصيحته تكون بوضع ما استؤمن عليه في حرز مثله وبأن يرعاه ويحفظه كما يرعى أمواله الخاصة به فإن هو تهاون فلم يرع ولم يحفظ الوديعة التي عنده فتعرضت للسرقة أو التلف لم يكن ناصحاً ومن كان أمره كذلك في الودائع التي يستأمن عليها كان غير ذي دين في تعامله ذلك .

والطبيب مستأمن على حياة وصحة من يعالجهم من المرضى وهو مطالب بأن يكون ناصحاً ونصيحته تكون ببذل غاية جهده لكشف الداء ووصف الدواء الملائم الذي يراه أحسن العلاجات وأبعدها عن الضر والأذى وبأن لا يستغل ضرورة المريض لابتزاز أمواله بغير حق وذلك بإعطائه الأدوية والعلاجات الضارة أو التي لا نفع فيها ليستفيد أجر مراجعته له مرات متعددات أو بأن يجري له عمليات جراحية لا لزوم لها ليبتز منه أجور هذه العمليات مع الغبن الفاحش بغية الثراء السريع على حساب صحة المرضى فمن فعل ذلك كان غاشاً غير ناصح ومن كان شأنه كذلك في طبابته كان غير ذي دين في تعامله ذلك .

ومن صلى أو زكى أو حج أو جاهد أو فعل أي فعل من العبادات والطاعات ووجوه الخير مراءاة للناس أو نفاقاً للمسلمين فهو غير ناصح لأنه غير صادق وغير مخلص لله في عمله وهو إما مراءٍ أو منافق ومن كان كذلك فهو غير ذي دين .

ومن تظاهر بالعفة وهو في سره غير عفيف فهو غير ناصح لله ورسوله ومن كان كذلك فهو غير ذي دين في مجال العفة .

ومن اغتاب فآذى أخاً مسلماً في الحديث عنه بما يكره فهو غير ناصح لأخيه المسلم ومن كان كذلك فهو غير ذي دين في تعامله الاجتماعي مع المسلمين .

وكذلك من كذب أو نم أو أفسد بين الناس أو سخر أو استهزأ بأحدٍ من المسلمين أو شتم مسلماً بغير حق أو قذفه أو عيره أو نبزه بما يكره من ألقاب أو آذاه أو أضرَّ به في نفسه أو ماله أو عرضه هو غير ناصح لعامة المسلمين ومن كان كذلك كان غير ذي دين في مجال تعامله مع الناس .

وهكذا إلى سائر وجوه التعامل نلاحظ أن الدين الحق الصادق ملازم للنصيحة وأهم كل ذلك ابتغاء مرضاة الله في الأقوال والأفعال وحركات القلب والنفس والفكر الإرادية فالدين فيها يكون بابتغاء مرضاة الله منها وبالتزام أوامر الله ونواهيه وبطاعة الله في ذلك والنصيحة فيها تكون بابتغاء مرضاة الله منها وبالتزام أوامر الله ونواهيه وبطاعته عز وجل في ذلك .
وكلما أجرينا مقارنة بين النصيحة وفق المفهوم الذي وضح لنا من شرحها وبين مفهوم الدين الحق وجدنا أنه حيثما وجد الدين وجدت النصيحة وحيثما ارتفعت النصيحة ارتفع الدين فلا عجب أن يقول الرسول ﷺ في الحديث الذي نتفهمه ونشرحه : (الدين النصيحة) فيجعل الدين منحصراً بالنصيحة وهذا الحصر آت من تعريف طرفي الإسناد المبتدأ والخبر .

مما يستفاد من الحديث :

١-النصيحة من أسس أخلاق الإسلام الكبرى فهي تساوي في مفهومها الواسع الشامل مفهوم الدين .
٢- الحديث من جوامع كلم الرسول ﷺ .
٣- تشمل النصيحة كل أنواع السلوك الإرادي للإنسان سواء أكان داخلياً أو خارجياً فيدخل فيها الإيمان والإخلاص والأخلاق النفسية وكل أنواع العبادات والطاعات .

البلاغة والإعراب

١- الإيجاز في التعبير إلى أقصى حدود الإيجاز مع عدم الإخلال بالمعنى .
فقد عرف الرسول ﷺ الدين بأنه النصيحة فمن استبصر بمفهوم النصيحة الشامل أدرك مطابقة الدين بمفهومه الواسع للنصيحة بمفوهمها الشامل .
٢- في قول الرسول : الدين النصيحة قصر وهو مستفاد من تعريف المبتدأ بأداة التعريف (أل) ومن تعريف الخبر أيضاً بأداة التعريف (أل) وهما طرفا الإسناد وهو من قصر موصوف على صفة .
٣- في الحديث استخدام أسلوب تقديم الفكرة المستغربة البعيدة عن أذهان المخاطبين مع أنها لدى التحليل حق لا ريب فيه لاستدعاء تساؤلات المخاطبين ولذلك سألوا وأجابهم الرسول ﷺ .
وفي هذا الأسلوب من تمكين مضمون البيان في عقول المخاطبين ونفوسهم مالا يوجد نظيره فيما لو جاء شرح المضمون منذ البداية .
٤- الدين النصيحة مبتدأ وخبر .

٥ـ قلنا لمن : لمن جار ومجرور متعلق بفعل قلنا على أنه مقول القول ونظيره ، " قال لله ولكتابه ولرسوله ..."
٢) عن النعمان بن بشير رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال : (مثل القائم على حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينة فأصاب بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها فكان الذين في أسفلها إذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم فقالوا : لو أنا خرقنا في نصيبنا خرقاً ولم نؤذي من فوقنا فإن تركوهم وما أرادوا هلكوا جميعاً وإن أخذوا بأيديهم نجوا ونجوا جميعاً) أخرجه البخاري

١ـ ترجمة راوي الحديث النعمان بن بشير :

هو أبو عبدالله النعمان بن بشير الأنصاري صاحبي هو وأبوه وأمه وهو أول مولود ولد للأنصار من المسلمين بعد الهجرة وحين توفي رسول الله ﷺ كان عمر النعمان بن بشير ثماني سنين وسبعة أشهر كما قيل سكن الكوفة وكان والياً عليها زمن معاوية ثم صار والياً على حمص ولما بويع لعبدالله بن الزبير بالخلافة في مكة دعا له في حمص فثار عليه أهل حمص انتصاراً للأمويين وقتلوه سنة أبع وستين للهجرة رضي الله عنه .

٢ - اللغة والمعنى المراد :

مثل القائم على حدود الله والواقع فيها :
القائم على حدود الله أي المحافظ عليها والملازم لفعل ما تأمر به وترك ما تنهى عنه .
وحدود الله : شرائعه وأحكامه وأوامره ونواهيه وأصل الحد الفاصل بين شيئين لئلا يختلط أحدهما بالآخر أو لئلا يتعدى أحدهما على الآخر ويجمع على حدود .
وفصل ما بين كل شيئين هو حد بينهما ومنتهى كل شيء حده .
وسميت أحكام الله وشرائعه وأوامره ونواهيه حدود الله لأنها قد فصلت بين ما يجب فعله وما يجب تركه وما يجوز فعله وتركه وما يحسن فعله دون إلزام وما يحسن تركه دون إلزام فكان لكل منها حد من لزمه وفق حكم الله فهو قائم عليه ومن لم يلزمه وفق حكم الله فقد تعدى حد الله .
والواقع فيها : أي الواقع في حدود الله بفعل ما نهى الله عنه أو ترك ما أمر به ويشمل كل العصاة على اختلاف دركاتهم ومنازلهم .

والقائمون على حدود الله والواقعون فيها هم المجتمع المسؤول تجاه الله عز وجل إذ هو ينقسم إلى مطيعين وعصاة ، وقد مثل الرسول ﷺ هذا المجتمع الشامل لقسميه المطيعين والعصاة بركاب سفينة في البحر ، البحر في المجتمع هو بحر الحياة وأحداثها وتقلباتها وأهوالها أحياناً والسفينة هي الهيكل الاجتماعي في الأمة على اختلاف مؤسساتها الاجتماعية والنظام الذي تسير عليه ، وركاب السفينة هم أصناف المجتمع وطبقاته .

كمثل قوم استهموا على سفينة :

أي كمثل قوم أرادوا ركوب سفينة في البحر فاقترعوا على أمكنتهم فيها حتى لا يتنازعوا فيما بينهم على الأماكن .

قوم : القوم الجماعة من الرجال والنساء ثم غلب في استعمال العرب على الرجال دون النساء ولكن قد يدخل النساء فيه على سبيل التبع فقوم كل نبي رجال ونساء .

استهموا : أي قترعوا ليأخذ بالقرعة كل منهم سهمه أي نصيبه الذي يخرج له وفعل " استهم " مأخوذ في الأصل من السهم الذي هو واحد السهام وهي القداح التي تجري بها القرعة أو التي كان يضرب بها في الميسر عند العرب .

على سفينة : السفينة الفلك وجمعها سَفَـائِن وسُفُـن وسَفِين والسّفَّانُ صانع السفُنِ وسائِسها واسم حرفته السِّفانة .

وسميت هذه المركبة البحرية عند العرب سفينة لأنها تَسْفِنُ وجه الماء أي تقشره فأصل السّفْنِ في اللغة القشر يقال سَفَنَ الشيء يَسفِنُهُ سَفْنَاً إذا قشره .

فأصاب بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها :

أي فكان نصيب بعضهم في القرعة الطابق الأعلى من السفينة ونصيب بعضهم الطابق الأسفل منها ، فكان الذين استقروا في الطابق الأسفل من السفينة إذا أرادوا أن يأخذوا من ماء البحر لحاجاتهم اضطروا أن يمروا على الذين استقروا في الطابق الأعلى منها وفي مرورهم هذا عليهم بعض الإيذاء لهم .

استقوا : أي جلبوا ماء السقيا لشربهم وحاجاتهم الأخرى باجتهاد وتكلف .

فقالوا : لو أنا خرقنا في نصيبنا خرقاً ولم نؤذ من فوقنا :

أي لو أننا ثقبنا في نصيبنا من أسفل السفينة ثقباً نأخذ منه الماء لئلا نصعد إلى أعلاها ونمر على الذين هم فيه فوقنا فنؤذيهم بمرورنا عليهم ، واستقاء الماء بالدلاء من مواقع نزولهم فيها ، وكلمة لو هنا معناها العرض وليست شرطية وفي العرض معنى الرغبة أو التمني وهي في هذه الحالة لا تحتاج جواباً فهي كمثال النحاة " لو تأتيني فتحدثني " أو " لو تنزل عندنا فتصيب خيراً " ، وجاء التعبير في لو أنا خرقنا في نصيبنا خرقاً ولم نؤذ من فوقنا بصيغة الماضي والمقصود عرض رغبتهم فيما يريدون فعله في المستقبل وأنهم يَهُمُون بالقيام بهذا العمل أي لو أننا نخرق في نصيبنا خرقاً لئلا نؤذي من فوقنا .
فإن يتركوهم وما أرادوا هلكوا جميعاً وإن أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعاً :
هلكوا : أي ماتوا .
نجوا : أي سلموا من الهلاك يقال : نَجَا يَنْجُو نَجْواً ونَجَاءً ونَجَاةً إذا خلص وسلم من الهلاك أو مما كان عرضة له من ضر أو أذى ، والضمير في نجوا الأولى يعود على الذين منعوا الفساد فأخذوا على أيدي إخوانهم والضمير في نجوا الثانية يعود على الذين أرادوا خرق السفينة .

٣- الشرح العام :
الظاهرة الاجتماعية التي لا يخلو منها مجتمع من المجتمعات البشرية أن يوجد فيه جانحون عن سواء السبيل مفسدون في الأرض كثرت نسبتهم أو قلّت وإذا قصَّر الصالحون بواجبهم في الهداية والإصلاح والتقويم والأخذ على أيدي المفسدين كثرت نسبة المفسدين في الأرض وانتشر الشر والظلم والعدوان والطغيان وامتد الوباء وصار المعروف منكراً والمنكر معروفاً وبسبب الفساد المنتشر تتزلزل قواعد سلامة المجتمع وتنعدم فيه عوامل بقاءه واستمراره على ما قضت به سنة الله في خلقه .
عندئذ يستحق هذا المجتمع كلمة العذاب والهلاك الشامل وبعدئذ تنزل عقوبة الله الشاملة التي تصيب الفاسدين المفسدين وتصيب الصالحين في أنفسهم أيضاً لأنهم قصروا بواجبهم تجاه مجتمعهم إذ كان عليهم أن يأمروهم بالمعروف وينهوهم عن المنكر فإن لم يستجيبوا قاوموهم وأخذوا على أيديهم إن استطاعوا فإن لم يستطيعوا استمروا على الأمر بالمعروف والنهي عن

المنكر فإن اضطهدوهم من أجل دينهم وإقامة أحكام ربهم فعليهم أن يهاجروا إذن إلى حيث يأمنون على أنفسهم وإقامة أحكام دينهم فإن عجزوا عن الهجرة أيضاً عذرهم الله فأنجاهم عند نزول الهلاك الشامل أو شملهم إذا وافق ذلك آجالهم ثم يبعثون على نياتهم وأعمالهم ويؤجرون أجر شهداء المصائب فيكونون كالهدمى الغرقى .

هذه السنة من سنن الله في المجتمعات البشرية قد دلت عليها نصوص من القرآن والسنة كما دلت عليها أحداث التاريخ الإنساني وقد ذكر القرآن طائفة منها .

فمن النصوص القرآنية التي دلت على هذه السنة الربانية وتطبيقاتها في التاريخ الإنساني ما يلي :

١- قول الله تعالى في سورة الفجر (أَلَمۡ تَرَ كَيۡفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ۝٦ إِرَمَ ذَاتِ ٱلۡعِمَادِ ۝٧ ٱلَّتِي لَمۡ يُخۡلَقۡ مِثۡلُهَا فِي ٱلۡبِلَٰدِ ۝٨ وَثَمُودَ ٱلَّذِينَ جَابُواْ ٱلصَّخۡرَ بِٱلۡوَادِ ۝٩ وَفِرۡعَوۡنَ ذِي ٱلۡأَوۡتَادِ ۝١٠ ٱلَّذِينَ طَغَوۡاْ فِي ٱلۡبِلَٰدِ ۝١١ فَأَكۡثَرُواْ فِيهَا ٱلۡفَسَادَ ۝١٢ فَصَبَّ عَلَيۡهِمۡ رَبُّكَ سَوۡطَ عَذَابٍ ۝١٣ إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلۡمِرۡصَادِ)

جابوا الصخر بالواد : خرقوا الصخر فاتخذوا فيه بيوتاً أو قطعوه فابتنوا به بيوتاً ، أي فلما طغوا في البلاد وأكثروا فيها الفساد صب عليهم ربك سوط عذاب وفق سنته في خلقه .

٢- وقوم لوط لما أجرموا وظلموا وفسقوا وأكثروا الفساد في الأرض أهلكهم الله قال الله عز وجل بشأنهم في سورة الأعراف : (وَأَمۡطَرۡنَا عَلَيۡهِم مَّطَرٗاۖ فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُجۡرِمِينَ)

أي فلم يكن عقابهم الشامل لمجرد كفرهم بل لفسادهم الشامل وإجرامهم وظلمهم ، إن العقاب الشامل على الكفر غير المقرون بالفساد العام أو الظلم والطغيان كثيراً ما يدخره الله ليوم الدين وقلما يعجله في الحياة الدنيا حتى يقترن بالظلم والإفساد في الأرض والصد عن سبيل الله .

بهذا قضت حكمته وسنته عز وجل ليتحقق أن الحياة الدنيا دار الابتلاء وأن الدار الآخرة هي دار الجزاء لكن انتشار الفساد في الأرض يفضي إلى دمارها

وتعاظم الآم الناس ويفضي إلى الصد الشامل عن سبيل الله فالحكمة عندئذ تقضي بإنزال العقاب الشامل لتتوازن في الحياة ظروف الامتحان الأمثل .
ومن أقوال الرسول ﷺ الدالة على هذه السنة من السنن الربانية في المجتمع البشري ما يلي :
١-عن أبي بكر ﵁ أن النبي ﷺ قال : (إن الناس إذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه أوشك أن يعمهم بعقاب منه) حديث صحيح رواه أبو داود والترمذي وابن ماجة .
٢-وعن أم المؤمنين زينب بنت جحش رضي الله عنها أنها سألت النبي ﷺ فقالت : يا رسول الله أنهلك وفينا الصالحون ؟ قال : (نعم إذا كثر الخبث) رواه البخاري ومسلم[١] .
٣- والحديث الذي نحن بصدد شرحه : (مثل القائم على حدود الله ...)
وحين يقوم دعاة الحق بواجبهم فينهون عن المنكر ولا يرضون به فمن سنة الله أن ينجيهم بوسيلة ما حين يريد إهلاك القوم الذين حقت عليهم كلمة العذاب الشامل قال تعالى : (فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِۦٓ أَنجَيۡنَا ٱلَّذِينَ يَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلسُّوٓءِ وَأَخَذۡنَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ بِعَذَابِۭ بَـِٔيسِۭ بِمَا كَانُواْ يَفۡسُقُونَ) هذه السنة من سنن الله في المجتمع البشري قدمها الرسول ﷺ في الحديث الذي نشرحه على صورة مثل رائع تضمن هذا المثل لوحة أدبية فنية مليئة بالحركة والحياة وقد برزت فيها أهم العناصر المقصودة بالبيان وطويت فيها أرضية اللوحة وعناصر أخرى يتمكن خيال القارئ أو السامع الحصيف من استكمالها بنفسه دون أن ترسم له في البيان المعروض .
إن الدنيا وأحداثها كبحر لجي في هدوئه وحلو نسماته وفي اضطرابه وشدة رياحه وهيجانه ومخاطره وفي احتوائه على كنوز وثروات وأرزاق .
وإن الحياة فيها كالركوب في مراكب البحر ومعلوم أن الراكب في البحر على خطر الهلاك .
وأي مجتمع من المجتمعات الإنسانية ذات العلاقات المشتركة والإدارة الواحدة يشبه ركاب سفينة واحدة تقاسموا مواقعها المتفاوتة كما لو اقترعوا عليها بالقرعة وبعض التصرفات السيئة من بعض أفراد المجتمع قد لا يشكل

---

(١) انظر كتاب رياض الصالحين باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الحديث ١٨٩ .

خطراً على المجتمع في هيئته الاجتماعية كالمخالفات الفردية التي لا تمس كيان المجتمع وهذه تشبه تصرفات سيئة يمارسها بعض ركاب السفينة في البحر إذا لم يكن لها تأثير على سير السفينة وكيانها ونظام حركتها وتوجيه دفتها ولا يعرضها لخطر الغرق أو الجنوح والاصطدام.

لكن بعض التصرفات السيئة من بعض أفراد المجتمع يشكل خطراً جسيماً على المجتمع في هيئته الاجتماعية إذ قد تسبب هذه التصرفات نزول الهلاك العام الشامل وهي تشبه خرق السفينة من موقع يسمح بتدفق ماء البحر إلى داخلها الأمر الذي تغرق به السفينة ويتعرض به ركابها للهلاك العام .

هذه التصرفات السيئة التي يتعدى ضررها إلى المجتمع لا يعقل بحال من الأحوال أن تبرر بدعوى الحرية الشخصية لأن ضررها يتعدى إلى أفراد المجتمع أولاً ثم إلى الهيئة الاجتماعية أخيراً ثم يتسبب بدمار المجتمع وهلاكه كله وفق سنة الله في المجتمعات البشرية .

هنا تبرز مسؤولية الفئة الصالحة في أنفسها تجاه حق أنفسها وحق الهيئة الاجتماعية عليها .

فإن هي لم تعبأ بفساد المفسدين في المجتمع ولم تأمر بالمعروف ولم تنه عن المنكر ولم تقاوم الفساد ولم تضرب على أيدي المفسدين ثم تصورت أن مسؤوليتها قاصرة على حدود إصلاح أنفسها مع أن فساد المفسدين يؤدي إلى فساد المجتمع كله واستحقاقه الهلاك العام بموجب سنة الله في خلقه فإنها تستحق عند نزول العذاب والهلاك الشامل أن ينزل بها الهلاك كما نزل بالمفسدين دون تمييز ولا تخصيص فالعقوبات المهلكة لمجتمع من المجتمعات تأتي في سنة الله عامة شاملة .

أما المفسدون والظالمون فبسبب فسادهم وظلمهم وأما الصالحون في أنفسهم فبسبب تقصيرهم بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والأخذ على أيدي المفسدين والظالمين ما استطاعوا إلى ذلك سبيلا .

فالسفينة الاجتماعية واحدة والإفساد الذي يمس كيان السفينة في ذاتها أو في مسيرتها قد يؤدي إلى غرقها وهلاك كل من فيها ولو كان فيها أناس صالحون في أنفسهم قائمون على حدود الله في ذواتهم .

ويبرز المثل النبوي في هذا الحديث نقطة مهمة جداً وهي المعاذير التي يغالط بها المفسدون عادة لتبرير ما يقومون به من أعمال تؤدي إلى فساد خطير

يشمل ضرره وشره المجتمع كله وقد يدفع به إلى الدمار والهلاك والعذاب الشامل .
وجاء تمثيل هذه المعاذير التبريرية باعتذار نزلاء الطابق الأسفل من السفينة بأنهم يريدون خرق السفينة من مواقعهم لأنهم لا يريدون إيذاء نزلاء الطابق الأعلى منها فهم حريصون على مصلحة شركائهم في السفينة .
وكذلك المفسدون في الأرض يقدمون لكل عمل من أعمال الإفساد التي يقومون بها معاذير تبريرية توهم أنهم يعملون لصالح المجتمع ولدى تدقيق النظر وبحث الأمر بحثاً فكرياً وتطبيقياً يتبين أنهم :
إما أصحاب أهواء وشهوات خاصة جعلتهم يجنحون عن سواء السبيل
وإما جهلة أغبياء ، وإما أتباع مضللون يسيرون في ركب الشياطين الحريصين على هلاكهم وهلاك مجتمعهم كله .
وزخرف المذاهب الفكرية الضالة الفلسفية أو الاجتماعية أو السياسية أو النفسية أو الاقتصادية المعادية لدين الله وشريعته لعباده إن هي إلا مقالات كبرى تشبه في حقيقتها المقالة التبريرية التي جاءت في المثل (فلو أنا خرقنا في نصيبنا خرقاً ولم نؤذ من فوقنا) .
وبعض الناس يفهمون فهماً خاطئاً قول الله تعالى في سورة المائدة : (يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهۡتَدَيۡتُمۡۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرۡجِعُكُمۡ جَمِيعٗا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ)

إذ يغفلون عن عنصر مهم من عناصر الهداية ألا وهو عنصر المسؤولية الجماعية أي مسؤولية الأفراد تجاه الجماعة ومسؤولية فريق من الجماعة تجاه الفريق الآخر وهذه المسؤولية هي غير مسؤولية الأفراد تجاه أنفسهم .
فالهداية المطلوبة في قوله تعالى : (إِذَا ٱهۡتَدَيۡتُمۡ) **إنما تتم بطاعة الله في أوامره ونواهيه كلها ما يتعلق منها بسلوك الفرد في ذات نفسه وما يتعلق منها بواجباته نحو أسرته وهي رعيته الخاصة وبواجباته نحو مجتمعه الذي هو فرد من أفراده ومن ذلك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والأخذ على أيدي الظالمين المفسدين مشاركاً في ذلك الفئة الصالحة في المجتمع .**

أما الذين اهتدوا حقاً على الوجه المطلوب فأدوا ما عليهم في خاصة أنفسهم وما عليهم تجاه الناس من واجبات اجتماعية فإنهم حينئذ لا يضرهم عند الله من ضل من الناس حتى ولو كانوا أقرباءهم وأهليهم وعشيرتهم .
إن المؤمن مسؤول عن إصلاح نفسه وتقويمها وطاعة الله في ذات نفسه وفي سلوكه الخاص حتى يكون بذلك قائماً على حدود الله ومسؤول أيضاً عن رعيته التي يرعاها كما جاء في الحديث الصحيح : (كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته) ، وكما قال الله تعالى في سورة طه : (وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا ۖ لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكَ ۗ وَٱلْعَـٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ) **ويدخل في ذلك واجب تربية الأبناء والبنات تربية إسلامية ، ومسؤول أيضاً عن مراقبة المجتمع المسلم وصيانته الدائمة بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كما قال الله تعالى في سورة التوبة :** (وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَـٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ)

ومسؤول أيضاً مع القائمين على حدود الله ضمن المجتمع الإسلامي مسؤولية جماعية تجاه الواقعين في حدود الله بهدايتهم بمختلف الوسائل حتى كف أيديهم ومنعهم بالقوة من الأعمال التي قد يعم بها الفساد وينتشر بها الظلم .
ومسؤول أيضاً مع المجتمع الإسلامي عن أعمال أخرى تجاه المجتمعات الإنسانية غير المسلمة .
أما المسؤولية تجاه المجتمع الإسلامي فتتمثل بعدة أمور منها :
١-إقامة الحكم الإسلامي وتطبيق العدل وفق منهج الله وشريعته .
٢- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .
٣- الأخذ على أيدي المفسدين والظالمين والضغط عليهم اجتماعياً حتى يسيروا في إطار مسيرة المجتمع الإسلامي السليم .
٤- قمع البغاة الخارجين بالقوة .
٥- إلى واجبات التعليم والتوعية العامة وإقامة المؤسسات الحضارية وبناء القوى الرادعة للغزاة الطامعين والمرهبة لأعداء الله وأعداء المسلمين وغير ذلك من واجبات اجتماعية .

وأما المسؤولية تجاه المجتمعات غير الإسلامية فتتمثل بعدة أمور أيضاً أهمها :
١-تبليغ دين الله للناس أجمعين .
٢- تقديم المثل الصالح للمجتمع الإسلامي القائم على الحق والعدل والتراحم والأمانة والعفة والصدق والوفاء بالوعد والعهد إلى غير ذلك من أخلاق إسلامية .
٣- الجهاد في سبيل الله لتأمين حركة التبليغ ولإقامة العدل بين الناس ولإزاحة الطغاة البغاة المتألهين على عباد الله حتى يتحرر الناس من الطغيان ويملكوا القدرة على التعرف على الحق واختيار الدين الذي يرتضونه دون إكراه ولا إجبار .
وقد فهم بعض المسلمين من قوله تعالى : (يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهۡتَدَيۡتُمۡ) **في عهد أبي بكر** ﷺ **فهماً غير سوي فقام فيهم خطيباً فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : يا أيها الناس إنكم تقرءون هذه الآية :** (يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهۡتَدَيۡتُمۡ) **وإنكم تضعونها على غير موضعها وإني سمعت رسول الله** ﷺ **يقول : (إن الناس إذا رأوا المنكر ولا يغيرونه يوشك الله عز وجل أن يعمهم بعقابه)[1] نعم فمن اهتدى فأدى واجباته الخاصة وواجباته نحو رعيته التي يرعاها وواجباته نحو المجتمع الإسلامي وواجباته نحو تبليغ دين الله للناس والجهاد في سبيل الله لم يضره بعد ذلك من ضل من الناس .**
هذا هو الفهم الحق الذي تدل عليه جملة النصوص .
أما إذا قصر بواجباته الاجتماعية فأدى تقصيره إلى تمكين المفسدين من خرق السفينة الاجتماعية فإن الغرق سيصيبه مع المفسدين ويهلك بذلك مع الهالكين .

---

(١) حديث صحيح رواه الإمام أحمد وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجة .

ثالثاًنماذج من الخطابة

تمهيد

أولاً أهمية الخطبة : الخطبة إحدى وسائل الأداء البياني في الإسلام للدعوة إلى الله عز وجل وتبليغ دينه والتذكير بأصوله وفروعه والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والنصح والإرشاد إلى الخيرات والفضائل الفكرية والسلوكية الباطنة والظاهرة ، وهي في الإسلام عنصر من عناصر بعض العبادات الدورية .

فخطبة الجمعة جزء من عبادة صلاة الجمعة واهتماماً بها قال تعالى : (يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوۡمِ ٱلۡجُمُعَةِ فَٱسۡعَوۡاْ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلۡبَيۡعَۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ) .

وخطبة عيدي الفطر والأضحى جزء تعبدي ملحق بصلاتي عيد الفطر والأضحى ، وخطبة عرفة عنصر من عناصر عبادات يوم عرفة .

وهناك خطب أخرى متصلة بمناسبات ملائمة كخطبة عقد الزواج وكالخطبة قبل المعركة الحربية وكالخطبة للحث على البذل والتضحية وكالخطبة للتنبيه على أمر مهم وما إلى ذلك .

والخطبة هي بمثابة محرك ذي حرارة وقوة يوجه العقول ويهز النفوس والمشاعر الداخلية ليستثير ما فيها من طاقات كامنات ساكنات حتى تعمل على توجيه الإرادات لتطبيق ما تهدي إليه وتنصح به أو لما تأمر به وتنهى عنه .

ثانياً تعريف الخطبة : هي حدة التصور وقوة التصوير .

ثالثاً مسالك الخطبة : يستخدم في الخطبة مسلكان :

١ـ مسلك الحكمة للإقناع الفكري دون إسراف أو للتذكير بإقناع فكري سابق.

٢ـ مسلك الموعظة الحسنة بوفرة لاستمالة النفس وإثارتها ترغيباً أو ترهيباً إثارة تخدم الأغراض المقصودة من الخطبة ومن هذا نعرف أن الخطابة هي فن مخاطبة الجماهير بطريقة إلقائية تشتمل على الإقناع والاستمالة

النموذج الأول خطبة الوداع

قال ابن إسحاق : ثم مضى رسول الله ﷺ على حجه فأرى الناس مناسكهم وأعلمهم سنن حجهم وخطب الناس خطبته التي بيّن فيها ما بيّن فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : (أيها الناس اسمعوا قولي فإني لا أدري لعلي لا ألقاكم بعد عامي هذا بهذا الموقف أبداً أيها الناس إن دماءكم وأموالكم عليكم حرام إلى أن تلقوا ربكم كحرمة يومكم هذا وكحرمة شهركم هذا وإنكم ستلقون ربكم فيسألكم عن أعمالكم وقد بلغت فمن كانت عنده أمانة فليؤدها إلى من ائتمنه عليها وإن كل ربا موضوع ولكن لكم رؤوس أموالكم لا تظلمون ولاتظلمون قضى الله أنه لا ربا وإن ربا عباس بن عبدالمطلب موضوع كله وإن كل دم كان في الجاهلية موضوع وإن أول دمائكم أضع دم ابن ربيعة بن الحارث بن عبدالمطلب وكان مسترضعاً في بني ليث فقتلته هذيل فهو أول ما أبدأ به من دماء الجاهلية أما بعد أيها الناس :

فإن الشيطان قد يئس أن يعبد بأرضكم هذه أبدأ ولكنه إن يطمع فيما سوى ذلك فقد رضي به مما تحقرون من أعمالكم فاحذروه على دينكم أيها الناس إن النسيء زيادة في الكفر يضل به الذين كفروا يحلونه عاماً ويحرمونه عاماً ليواطؤا عدة ما حرم الله فيحلوا ما حرم الله ويحرموا ما أحل الله وإن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض وإن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهراً منها أربعة حرم ثلاثة متوالية ورجب مضر الذي كان بين جمادى وشعبان أما بعد : أيها الناس فإن لكم على نسائكم حقاً ولهن عليكم حقاً لكم عليهن أن لا يوطئن فرشكم أحداً تكرهونه وعليهن أن لا يأتين بفاحشة مبينة فإن فعلن فإن الله قد أذن لكم أن تهجروهن في المضاجع وتضربوهن ضرباً غير مبرِّح فإن انتهين فلهن رزقهن وكسوتهن بالمعروف واستوصوا بالنساء خيراً فإنهن عندكم عوان (أسيرة) لا يملكن لأنفسهن شيئاً وإنكم إنما أخذتموهن بأمانة الله واستحللتم فروجهن بكلمات الله فاعقلوا أيها الناس اسمعوا قولي فإني قد بلغت وقد تركت فيكم ما إن اعتصمتم به فلن تضلوا أبداً أمراً بيِّناً : كتاب الله وسنة نبيه يا أيها الناس اسمعوا قولي واعقلوه تَعلمن أن كل مسلم أخ للمسلم وأن المسلمين إخوة فلا يحل لامرئ من أخيه إلا ما أعطاه عن طيب نفس منه فلا تظلمن أنفسكم اللهم هل بلغت) فذكر لي أن الناس قالوا : اللهم نعم فقال رسول الله ﷺ : (اللهم اشهد)

هذه الخطبة جامعة مانعة توفرت فيها داوعي الخطابة من إقناع عقلي واستمالة عاطفية (لعلي لا ألقاكم بعد عامي هذا في موقفي هذا) .
وقد اشتملت على ذكر خمسة أصول من أهم أصول الدين ومبادئه السامية وهي وثيقة كبرى لحقوق الإنسان :
١- حق حفظ النفس وحرمة قتلها .
٢- حق تملك المال وحرمة اغتصابه .
٣- حق الأمانة بحفظها وردها إلى أهلها .
٤- حق الأخوة (إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ)
٥- حق المساواة : (كلكم لآدم وآدم من تراب) ولم يعد التفاضل بالنسب والحسب إنما أصبح بالتقوى فهي ميزان التفاضل (إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ).
وثلاث وصايا في حياة المسلم :
١- التمسك بالدين .
٢- عدم اعتداء المسلم على أخيه (يضرب بعضكم رقاب بعض) .
٣- اتخاذ القرآن دستوراً يسيرون على نهجه وسنة رسوله .
طائفة من التشريعات :
١-رد دم القتيل إلى الدولة فهي التي تعاقب عليه ودعا إلى التنازل عن حق الأخذ بالثأر (وإن دماء الجاهلية موضوعة) .
٢- حرم النهب والسلب تحريماً قاطعاً (وإن مآثر الجاهلية موضوعة).
٣- حرم الربا (وإن ربا الجاهلية موضوع).
٤- حذر الرسول من الشيطان وغواياته فحرم التلاعب بالأشهر الحرم .
٥- وبين حقوق الزوجة وحقوق الزوج .
وهذه الخطبة الجامعة المانعة هي وثيقة كبرى لإعلان حقوق الإنسان بدَّل الخطب الطوال بالكلم القصار فهو الذي فتق معاني الخطابة الدينية وفجر ينابيعها تفجيراً فأصبحت مادة للخطباء فيما بعد .
وكان رسول الله ﷺ وقد أوتي جوامع الكلم وسجدت له البلاغة وطاعت الفصاحة إذا وعظ أثر في قلوب السامعين وطيب نفوسهم حتى أنهم لتذرف دموعهم وترق وتخشع قلوبهم ويرتقي الحال بهم إلى المشاهدات .
وكان رسول الله ﷺ يتكلم من دون تكلف يرسل نفسه على سجيتها ويعبر عن فكرته بوضوح يعجز عنه البلغاء وقد وصف الجاحظ بلاغته ﷺ فكان مما قال

: (ولم يسمع الناس بكلام قط أعم نفعاً ولا أصدق لفظاً ولا أعدل وزناً ولا أجمل مذهباً ولا أكرم مطلباً ولا أحسن موقعاً ولا أسهل مخرجاً ولا أفصح عن معناه ولا أبين عن فحواه من كلامه ﷺ) .

وصدق الرافعي إمام البيان الأدبي إذ يقول :
ألفاظ النبوة يعمرها قلب متصل بجلال خالقه .
ويصقلها لسان نزل عليه القرآن بحقائقه .
فهي إن لم تكن من الوحي ولكنها جاءت من سبيله .
وإن لم يكن لها منه دليل فقد كانت هي من دليله .

النموذج الثاني

خطبة قس بن ساعدة :

(أيها الناس اجتمعوا واسمعوا وعوا من عاش مات ومن مات فات وكل ما هو آت آت ، آيات محكمات ، مطر ونبات ، وآباء وأمهات ، وذاهب وآت ، ضوء وظلام ، وبر وآثام[1] ، ولباس ومركب ومطعم ومشرب، ونجوم تمور[2] وبحار لا تغور[3] ، وسقف مرفوع[4] ومهاد موضوع[5] ، وليل داج[6] وسماء ذات أبراج ، وجبال مرساة وأرض مدحاة[7] ، وأنهار مجراة[8] ، إن في السماء لخبرا[9] ، وإن في الأرض لعبرا[10] ، مالي أرى الناس يموتون ولا يرجعون ، أرضوا[11] فأقاموا أم حبسوا فناموا ، يا معشر إياد[12] ، أين ثمود وعاد ، وأين الآباء والأجداد ، وأين الفراعنة الشداد ، ألم يكونوا أكثر منكم أموالاً ، وأطول آجالاً ، طحنهم الدهر بكلكله[13] ، ومزقهم الدهر بتطاوله ، أين المعروف الذي لم يشكر ، والظلم الذي ينكر ، أقسم قس بالله إن لله لديناً هو أرضى له من دينكم هذا)

غريب الخطبة :

١- آثام : جمع إثم ٢- تذهب وتجيء ٣- لا تذهب ٤- السماء
٥- أرض ٦- مظلم ٧- مدورة ٨- تجري ٩- خبر عظيم
١٠-مواعظ ١١- ارتضوا ١٢- يامعشر الناس
١٣- كلكل البعير : صدره

التعريف بالخطيب : قس بن ساعدة من أشهر خطباء العرب قبل الإسلام عرف بالفصاحة في القول والإيجاز في التعبير مع ورود بعض الحكم في خطبه .

التعليق العام : خطبة قس تمثل نموذجاً من الخطابة الجاهلية وصاحبها مشهور بالفصاحة والقدرة على إحكام القول فهو يبدأُ بالنداء أيها الناس وغرضه البلاغي التشبيه والشمول ثم يأتي بأساليب تنبيه أخرى " اجتمعوا واسمعوا وعوا " يؤكد أهمية ما سيقول ثم عرض مظاهر الحياة مستخدماً المقابلات " عاش - ومات - فات - آت - ضوء - وظلام – سماء – أرض – ذاهب – آت) ثم استخدم أسلوب الاستفهام التعجبي " أين ثمود وعاد ، وأين الآباء والأجداد ، وأين الفراعنة الشداد " وكرر الاستفهام للتوكيد الإعتباري بكل هؤلاء ثم أتى بالاستفهام التقريري " ألم يكونوا "

٢- يجد المتأمل في عبارات الخطبة أنها قد ألتزمت السجع في معظم عباراتها كما أنه استخدم الجناس " مات – فات – مرفوع – موضوع – خبراً– عبراً " .
٣- من مميزات الخطبة قصر الجمل مع قراءة المعاني كما تميزت بتنوع الأسلوب بين الخبر والإنشاء .
٤- في قوله " طحنهم الدهر بكلكله " استعارة مكنية توحي بإبادة الدهر لمن سبقوهم من الأمم .
٥- أفصح قس في نهاية خطبته أن هناك شيء لم يعرف بعد وكأنه كان يحس بقرب ظهور الإسلام قبل ذلك حس مرهف للخطيب أم توقع ناتج عن قراءة في أخبار كهان الجاهلية .

خامساً نموذج من الوصايا

مقدمة

الوصايا من فنون النثر الأدبي وهي أقوال تحمل من المعاني والأفكار ما يعتبر زاداً لمن يأتي من الأجيال ، أو هي نصائح يقدمها الآباء كخلاصة لتجاربهم لينتفع بها الأبناء . من هذه الوصايا :

أعرابية توصي ولدها

أي بني : إياك[١] والنميمة[٢] فإنها تزرع الضغينة[٣] ، وتفرق بين المحبين ، وإياك والتعرض للعيوب فتتخذ غرضاً[٤] وخليق[٥] ألا يثبت الغرض على كثرة السهام ، وقلما اعتورت السهام[٦] غرضاً إلا كلمته[٧] حتى يهي[٨] ما اشتد من قوته ، وإياك والجود بدينك والبخل بمالك ، وإذا هززت[٩] فاهزز كريماً يلن لهزتك ، ولا تهزز اللئيم فإنه صخرة لا ينفجر ماؤها ، ومثل لنفسك مثال ما استحسنته من غيرك فاعمل به ، وما استقبحته من غيرك فاجتنبه ، فإن المرء لا يرى عيب نفسه ومن كانت مودته بسره خالف ذلك منه فعله كان صديقه منه على مثل الريح في تصرفها والغدر أقبح ما تعامل به الناس بينهم ومن جمع العلم والسخاء فقد أجاد الحلة ربطتها وسربالها .

غريب الوصية :

١-أحذر ٢- السعي لإيقاع الفتنة ٣- الحقد ٤- هدفاً
٥- جدير ٦- تداولت وتناولت ٧- جرحته ٨- يضعف
٩- طلبت شيئاً من أحد .

التعليق العام :

١- جمعت هذه الوصية أكبر قدر من المعاني والمثل والقيم الإنسانية فهي تهتم بجانب العلاقات بين الناس والأخلاق الكريمة والصفات الحميدة التي تجعل الإنسان إنساناً بحق بين الناس .

٢- يلاحظ فيها قصر الجمل فتكون أقرب إلى الحفظ والاستيعاب .

٣- عباراتها مركزة لتدفع عنها ملل الإطالة .

٤- خالية من التكلف لفظاً ومعنىً وخالية من التعقيد لتكون أكثر وضوحاً وفهماً .

صور بلاغية :

١-افتتاح الوصية بالنداء غرضه التنبيه إلى ما سيقال اهتماماً به وبياناً لأهميته .

٢- أسلوب الأمر – اهزز – مثل لنفسك – فاجتنبه

٣- أسلوب النهي – لا تهزز

٤- أسلوب التحذير – إياك والنميمة – إياك والتعرض للعيوب – إياك والجود بدينك .

٥- المقابلة في إياك والجود بدينك والبخل بمالك .

٦- تشبيه اللئيم البخيل بالصخرة التي لا تجود بماء أبداً – أما اللئيم فإنه كالصخرة لا ينفجر ماؤها .

أهم الأفكار في الوصية :

١- ذم النميمة وكراهيتها وعظم خطرها .

٢- ذم التكشف على عيوب الناس لأنه سبب يجعلك هدفاً للناس لتفتيش عيوبك .

٣- ضرورة الحفاظ على الدين فإن تضييع الدين من المرء عار كبير .

٤- مدح الكرم وذم البخل لأنه أسوء صفة في الإنسان .

٥- اختر لحاجتك الكريم واحذر قصد اللئيم .

٦- خذ من حال الناس أحسنه واترك قبيحه .

٧- الحرص على أن تكون المودة والمحبة للأحباب والأصحاب خالصة وسابقة وإلا انصرفوا عنه .

سادساً نموذج من الأدعية النبوية

دعاء نبوي بليغ

من دعائه ﷺ حينما رجع من الطائف وجلس ببستان لعتبة وشيبة ابني ربيعة (اللهم إليك أشكو ضعف قوتي وقلة حيلتي وهواني على الناس يا أرحم الراحمين أنت رب المستضعفين وأنت ربي إلى من تكلني إلى بعيد يتجهمني أم إلى عدو ملكته أمري إن لم يكن بك عليَّ غضب فلا أبالي ولكنَّ عافيتك أوسع لي أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة من أن تُنزل بي غضبك أو يحل عليَّ سخطك لك العتبى حتى ترضى ولا حول ولا قوة إلا بالله) حديث حسن أخرجه الطبراني

تمهيد :

إن الأدعية النبوية مع قيمتها الروحية وحقيقتها المعنوية هي في أعلى مكانة أدبية وأرفعها هي درر الأدب اليتيمة وأثارة النادرة الخالدة التي ينقطع نظيرها في أدبيات البشر جميعا .

هناك رسائل شخصية قد نالت من نقاد الأدب مكانة كبيرة لأنها تحمل سذاجة وتتنزه عن التكلف والتصنع وتعبر عن عواطف القلب تعبيراً صادق بيد أنه فاتهم أن يدركوا أن هناك نوعاً من الأدب يحمل من الصدق الخالص والمعاني الحقيقية ما لا تحمله الرسائل والكتابات وتصبح هناك المصطلحات اللغوية بأنواعها هباء منثوراً حينما يصب فيها المتكلم عصارة قلبه ويعبر لسانه عن القلب بأصح ما يكون وأصدق ما يتصور ويستغني المتكلم عن الترحيب والتحبيذ والإشادة والتقدير ولا يحسب حساباً للسامع بل يخاطب قلبه ويتناجى مع مشاعره ويتحدث مع عواطفه هذا النوع من الأدب الرفيع والبديع هو الدعاء والمناجاة مع استشعار حلاوة تذوق معاني العبودية بين يدي الله عز وجل .

أسباب ارتقاء الدعاء في الأدب

لأن قلت كيف وصل الدعاء والمناجاة إلى هذه الدرجة العالية الأدبية أقول لك إنك تعلم أن أهم عناصر الأدب هي :

١-الإخلاص ٢- الصدق ٣- الواقعية

هذه الأسباب هي التي تكسب المقالة الأدبية الروح والقوة والحيوية هي التي تحول النص الأدبي إلى حقيقة أبدية خالدة وهذه العناصر موجودة في الدعاء والمناجاة بشكل كبير جداً لا يمكن أن يتسم به أي نوع من أنواع الأدب فكيف

إذا كان الداعي والمناجي رقيق القلب جريح الكبد لا شك أن الكلمات الصادرة عن لسانه ستكون ولا شك آية من آيات الأدب لأنها أفلاد كبده وقطع قلبه ودموع عينه فكيف إذا جرت كلمات هذا الدعاء وهذه المناجاة على لسان من تكرر عليه الوحي وامتلك ناصية البلاغة وعنان الفصاحة فلا تسأل حينئذ عن تأثيرها وإعجازها لذلك اخترت لك هذا الدعاء النبوي البليغ المؤثر .

معاني بعض الكلمات

اللهم : أصلها يا الله حذفت ياء النداء وعوض عنها الميم .

يتجهمني : يلقاني بالغلظة والوجه الكريه .

العتبى : بضم العين الرضا .

الشرح العام :

تأمل هذا الدعاء النبوي جيداً تجده في قمة البلاغة والجمال الأدبي لا يستطيع أحد منا مهما بلغ تضلعه من الأدب ومهما بلغت براعته في الأساليب البيانية أن يأتي وهو يريد أن يبدي عجزه وضعفه ويصور فقره واحتياجه ويستجلب رحمة ربه ويستمطر سحابة كرمه بكلمات أشد منها تأثيراً وأدق منها دلالة على المعاني وأكثر منها قلة في المباني وأحسن منها وقعاً في النفوس وجذباً للقلوب وسحراً للأذهان والعقول .

تصور عام الحزن وفقد النبي صلى الله عليه وآله وسلم لعمه أبي طالب وزوجه خديجة رضي الله عنها وهما هما في الدفاع عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أصبح النبي صلى الله عليه وآله وسلم في الساحة وحيداً لا ناصر له إلا الله تعالى تصور بعد ذلك سفره صلى الله عليه وآله وسلم إلى الطائف وما يحف هذا السفر من مخاطر جعلت النبي صلى الله عليه وآله وسلم يخرج إلى الطائف ماشياً على قدمه واختياره زيد بن حارثة للمرافقة .

وتصور بعد ذلك رد زعماء الطائف القبيح المشوب بالاستهزاء والسخرية وتسليط السفهاء والصبيان عليه ورشقهم له صلى الله عليه وآله وسلم بالحجارة وإسالة الدم من قدميه صلى الله عليه وآله وسلم وإشاعة هذا الخبر ووصوله إلى مكة .

وأرسل النظر بعد ذلك إلى قلب المسافر المنكسر وإلى تعبه وهمه وحاله الصعب الشديد قدم دامية وعين ساهرة ولقاء شديد وخبر منتشر وعدو شامت بمكة وفي هذا الجو وهذه البيئة الظالمة الخانقة اقرأ دعاءه (اللهم إليك .... الخ)

والآن بعد أن فرغت من قراءة الدعاء المبارك قل لي بربك هل تستطيع أن تأتي وقد تكيفت نفسك بهذه الكيفية العجيبة بكلمات أحسن منها وأوقع وهل يقدر أرباب البلاغة وأساطين الأدب أن يسعفوك بألفاظ أكثر منها رشاقة وأحسن منها صياغة .

البلاغة :

قوله أعود بنور وجهك الكريم الذي أشرقت به الظلمات : الوجه هنا كناية عن الرضى والقبول والإقبال وأصله أن من رضي عنك أقبل عليك ومن غضب عليك أعرض عنك ولم يرك وجهه .

والمراد بالنور الظهور وانكشاف الحقائق الإلهية وبه أشرقت الظلمات أي أشرقت محالها وهي القلوب التي كانت فيها ظلمات الجهالة والشكوك فاستنارت القلوب بنور الله .

سابعاً نماذج من الأمثال

تمهيد

قال المبرد المثل مأخوذ من المثال وهو قول سائر يُشَبَّهُ به حال الثاني بالأول والأصل فيه التشبيه فقولهم مَثَلَ بين يديه إذا انتصب معناه أشبه الصورة المنتصبة .

وفلان أمثل من فلان أي أشبه بما له من الفضل .

والمثال القصاص لتشبيه حال المقتص منه بحال الأول .

فحقيقة المثل ما جعل كالعلم للتشبيه بحال الأول كقول كعب بن زهير :

كـــانت مواعيد عرقوب لها مثلا ومــــــا مواعيدها إلا الاباطيل

فمواعيد عرقوب علم لكل ما لا يصح من المواعيد .

قال ابن السكيت المثل لفظ يخالف لفظ المضروب له ويوافق معناه معنى ذلك اللفظ شبهوه بالمثال الذي يعمل عليه غيره .

وقال غيرهما : سميت الحكمُ القائم صدقها في العقول أمثالاً لانتصاب صورها في العقول مشتقة من المثول الذي هو الانتصاب .

خصائص المثل :

قال بعضهم يجتمع في المثل أربعة لا تجتمع في غيره من الكلام :

١ـ إيجاز اللفظ ٢ـ إصابة المعنى ٣ـ حسن التشبيه ٤ـ جودة الكناية

مميزات المثل :

قال بن المقفع : إذا جعل الكلام مثلاً :

١ـ كان أوضح للمنطق ٢ـ وآنق للسمع ٣ـ وأوسع لشعوب الحديث

وهاك بعض الأمثلة :

١ـإن المنبتَّ لا أرضاً قطع ولا ظهراً أبقى :

قائله : هو النبي صلى الله عليه وآله وسلم .

سببه : أنه عليه الصلاة والسلام رأى رجلاً اجتهد في العبادة حتى هجمت عيناه ـ أي غارتا ـ فقال له : إن هذا الدين متين فأوغل فيه برفق إنَّ المنبتَّ لا أرضاً قطع ولا ظهراً أبقى .

معناه : المنبت هو المنقطع عن أصحابه في السفر ، والظهر الدابة والمراد أن الجاد في عمل شيء فوق طاقته آل أمره إلى الانقطاع دون تحقيق مقصده.
لمن يضرب : يضرب هذا المثل لمن يبالغ في طلب الشيء ويفرط حتى ربما يفوته على نفسه .
٢-الحديث ذو شجون :
قائله : ضبة بن أدّ ابن طابخة بن إلياس بن مضر .
سببه : أنه كان له ابنان يقال لأحدهما سعد وللآخر سعيد فنفرت إبل لضبة تحت الليل فوجه إبنيه في طلبها فتفرقا فوجدها سعد فردها ومضى سعيد في طلبها فلقيه الحارث بن كعب وكان على سعيد بردان فطلبها الحارث فأبى سعيد أن يسلمه فقتل الحارث سعيداً وأخذ برديه .
فكان ضبة إذا أمسى فرأى تحت الليل سواداً قال أسعد أم سعيد فذهب قوله هذا مثلاً يضرب في النجاح والخيبة فمكث ضبة على ذلك ما شاء الله أن يمكث ثم إن ضبة حج فوافى عكاظ فلقي بها الحارث ورأى عليه بردي ابنه سعيد فعرفهما فقال ضبة للحارث : هل أنت مخبري ما هذان البردان اللذان عليك قال الحارث بلى لقيت غلاماً وهما عليه فسألته أيهما هما فأبى عليَّ فقتلته وأخذت برديه هذين فقال ضبة : بسيفك هذا قال نعم ، قال ضبة : أعطنيه انظر إليه فإني أظنه صارماً فأعطاه الحارث سيفه فلما أخذه من يديه هزه وقال : الحديث ذو شجون ثم ضربه به حتى قتله ، فقيل له : يا ضبة أفي الشهر الحرام قال سبق السيف العَذَلُ .

قال الفرزدق :
لا تأمنن الحرب إن استعارها كضبة قال الحديث شجون
معناه :
الحديث ذو شجون ذو طرق الواحد شجْن بسكون الجيم والشواجن أودية كثيرة الشجر .
لمن يضرب : يضرب هذا المثل في الحديث يتذكر به غيره .
٣- دون غليان خرط القتاد :
قائله : كليب بن وائل .

سببه : أن كليب عقر ناقة جاره جساس فقال جساس : أنه سيقتل في الغد فحلاً لكليب أعظم من ناقته التي عقرت فبلغ كليب الخبر فظن أن جساس يقتل فحله غليان فقال :دون غليان خرط القتاد .
المعنى :
غليان : اسم فحل لكليب .
خرط القتاد : مجاوزة الصحراء .
لمن يضرب : للشيء الممتنع .
٤ـ أسئل من فلحس :
فلحس رجل من بني شيبان قيل فيه هذا المثل .
السبب : أن فلحس كان سيداً عزيزاً فغزا جيش قوماً ولم يخرج فلحس معهم فسألهم سهمه من الغنيمة وهو في بيته فأعطوه وسأل سهماً لامرأته فأعطوه وسأل سهماً لبعيره فقالوا أما ناقتك فلا .
ويروي أبو عبيد أن قولهم أسأل من فلحس هو الذي يتحين طعام الناس يقال أتاني فلان يتفلحس أي يتطفل .
لمن يضرب : لمن يكثر السؤال .
٥ـ اضرطاً وأنت الأعلى :
القائل : سليكة بن سلكة السعدي
السبب : أنه كان نائماً فجثم عليه رجل من الليل فقال إستأسر فرفع له سليك رأسه الليل طويل وأنت مقمر ثم جعل الرجل يلهزه ويقول يا خبيث إستأسر فلما آذاه بذلك أخرج سليك يده وضم الرجل إليه ضمة اضرطته وهو فوقه فقال له سليك : اضرطاً وأنت الأعلى .
لمن يضرب : لمن يشكو في غير موضع الشكوى .

ثامناً نموذج من الكتابة

كان أولياء العرب في الصدر الأول كُتّاباً بالطبع يُملون أو يكتبون ما يريدون بأسلوب موجز ولفظ فصيح فلما امتدت ظلال الخلافة وفاضت موارد الفيء اضطرهم ضبط ذلك إلى إنشاء الدواوين فدوَّنها عمر ثم عهد الخلفاء بالكتابة فيها إلى العرب والموالي والمتعربين ثم ثقلت أعباء الدولة على الخلفاء فاتخذوا نواميس من كتاب العرب وأدباء الموالي للقيام بكتابة الكتب والرسائل بأسلوب جزل اللفظ فخم التراكيب واقفاً عند الغرض خاليا من التطويل والتجميل والمبالغة وكانت تلك الرسائل تبدأ بالبسملة وقولهم من فلان إلى فلان أما بعد أو إني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو وتختم بالسلام أو بقولهم والسلام على من اتبع الهدى فلما ولي الخلافة الوليد بن عبدالملك أمر بتجويد القراطيس وتفخيم الخطاب واستمر على هذا العمل إلى خلافة عمر بن عبدالعزيز فأمر بإرجاع الكتابة إلى نهج السلف .
وجاء عبدالحميد الكاتب فأسهب في الرسائل وعمقها ورققها وأطال التحميدات في أولها وتبعه في ذلك سائر الكتاب وهاك نموذجاً من كتابته .

توجس من المستقبل

النص :
أما بعد فإن الله تعالى جعل الدنيا محفوفة بالكره والسرور فمن ساعده الحظ فيها سكن إليها ، ومن عضته بنابها ذمها ساخطاً عليها . وشكاها مستزيداً لها وقد أذاقتنا أفاويق استحليناها ثم جمحت بنا نافرة ورمحتنا مولية فملح عذبها وخشن لينها فأبعدتنا عن الأوطان وفرقتنا عن الإخوان فالدار نازحة والطير بارحة .
وقد كتبت والأيام تزيدنا منكم بعداً وإليكم وجداً فإن تتم البلية إلى أقصى مدتها يكن آخر العهد بكم وبنا وإن يلحقنا ظفر جارح من أظفار من يليكم نرجع إليكم بذل الأسار والذل شر جار .
نسأل الله الذي يعز من يشاء ويذل من يشاء أن يهب لنا ولكم ألفة جامعة في دار آمنة تجمع سلامة الأبدان والأديان فإنه رب العالمين وأرحم الراحمين .

تعريف بالكاتب :

هو عبدالحميد بن يحيى بن سعد الكاتب من أصل فارسي وهو أشهر كتاب العصر الأموي ولد سنة ٦٠ هـ في مدينة الأنبار على نهر الفرات بدأ حياته معلماً بالكوفة ومات قتيلاً على يد بني العباس سنة ١٣٢ هـ في مصر .

يعد إمام الكتابة الفنية في العصر الأموي وقالوا : بدأت الكتابة بعبدالحميد وانتهت بابن العميد .

أهم أثاره : طائفة الرسائل الديوانية المطولة ورسالة إلى ولي العهد على لسان مروان ورسالته إلى الكتاب ورسالته في الشطرنج والكف عنه ثم رسالته الرائعة التي كتبها إلى أهله يودعهم وهو منهزم وهي هذه .

غريب الكلمات :

محفوفة : محوطة ، عضته بنابها : أصابته بضرها وأذاها ، الأفاويق : جمع فيقة وهي اللبن يجتمع في الضرع بين الحلبتين ، جمحت الدابة : استعصت على السير وصعب قيادها ، رمحتنا مولية : رفستنا وانصرفت عنا ، نازحة : بعيدة نائية ، بارحة : البارح من الطير المتجهة نحو اليسار وكان العرب يتشاءمون من الطير البارح ، ظفر جارح ممن يليكم : يقصد به بني العباس أعداءهم الذين عندهم .

المعنى العام :

في مطلع هذه الرسالة يحاول الكاتب أن يخفف من وقع مصابه على أهله فيبين أن الدنيا لا تستقر على حال وأنها لا تخلو من المكاره والشرور فإن سرّت يوماً أساءت يوماً آخر فمن أسعده الحظ فيها فهو راض عنها ، ومن جانبه الحظ فهو ساخط عليها متبرم بها ومع سخطه وتبرمه يحبها ، ويطمع أن يتبدل حالها فتقبل عليه بما يرضيه .

ثم يتذكر ماضيه السعيد ويزنه بحاضره البائس فيقول : لقد أذاقتنا من حلاوتها حيناً ثم لم تلبث أن ولت عنا بعد ضربة قاسية فصار الحلو مراً والنعيم بؤساً واللين خشناً أبعدتنا عن ديارنا وفرقت بيننا وبين من نحب فبعدنا وبعدوا وأصبح حظنا منها تعساً مشؤوماً .

ثم نراه مضطراً إلى مصارحة أهله بحقيقة موقفه وبما يتوقعه من مفاجأة الغد فيبين لهم في كتابه أنه يبحث في الأرض عن ملجأ فيزداد بعداً منهم مع شوقه إليهم وأنه أصبح ينتظر إحدى النهايتين إما القتل وإما الأسر فإن قتل بيد

العدو يكن ذلك آخر العهد بهم وإن أسر فإنه سيعيش تحت وطأة الذل والعار وهو مالا يرتضيه لنفسه الكريمة .
بيد أن حب الحياة والأهل يسيطر عليه فيضرع إلى الله القادر العزيز أن ينجيه من هذه المحنة وأن يجمع بينه وبين من يحب في دار آمنة .

تاسعاً نموذج من المقامات

التعريف بالمقامات :

المقامات حكايات قصيرة تشتمل كل واحدة منها على حادثة لا تستغرق غالباً أكثر من مقامة " جلسة " وتنتهي بعظة أو ملحة وتتسم المقامات بأناقة الأسلوب والتكلف أو الصنعة في انتقاء الألفاظ والجمل المسجوعة .

والمقامات دروس في اللغة والبيان وضروب المعرفة الأخرى كما يرى بعض النقاد ومن أشهر المقامات مقامات الحريري ومقامات الزمخشري ومقامات الهمذاني وقد اخترنا هذه المقامة البغدادية للهمذاني فقد أملاها بديع الزمان على طلابه وجعلها بأسلوب قصصي لتكون ممتعة بعيدة عن الجفاف استقى مادتها من فئة من الناس الأذكياء الظرفاء لجأت إلى الاستجداء وسلكت سبل الاحتيال والتغرير بالسذج بعد أن ضاقت سبل الرزق أمامها في ذلك العصر المضطرب ، وهاك نصها :

المقامة البغدادية

النص :

حدثنا عيسى بن هشام قال : أشتهيت الأزاذ وأنا ببغداد وليس معي عقد على نقد فخرجت أنتهز محاله حتى أحلّني الكرخ فإذا أنا بسوادي يسوق بالجهد حماره ويطرف بالعقد إزاره فقلت : ظفرنا والله بصيد وحياك الله أبا زيد من أين أقبلت ؟ وأين نزلت ؟ ومتى وافيت ؟ وهلم إلى البيت ؟

قال السوادي : لست بأبي زيد ولكني أبو عبيد

فقلت : نعم لعن الله الشيطان وأبعد النسيان أنسانيك طول العهد واتصال البعد فكيف حال أبيك أشاب كعهدي أم شاب بعدي ؟

فقال : قد نبت الربيع على دمنته وأرجو أن يصيره إلى جنته .

فقلت : إنا لله وإنا إليه راجعون ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم . ومددت يد البدار إلى الصدار أريد تمزيقه فقبض السوادي على خصري بِجُمْعه وقال : نشدتك الله لا مزقته .

فقلت : هلم إلى البيت نصب غذاء أو إلى السوق نشتري شواء والسوق أقرب وطعامه أطيب فاستفزته حمة القرم وعطفته عاطفة اللقم وطمع ولم يعلم أنه وقع .

ثم أتينا شواء يتقاطر شواؤه عرقاً وتتسايل جواذباته مرقاً فقلت : أفرز لأبي زيد من هذا الشواء ثم زن له من تلك الحلوى واختر له من تلك الأطباق وانضد عليها أوراق الرقاق ورش عليه شيئاً من ماء السُّماق ليأكله أبو زيد هنيا فانحنى الشواء بساطوره على زبدة تنورة فجعلها كالكحل سحقا وكالطحن دقاً ثم جلس وجلست ولا نبس ولا نبست حتى استوفيناه وقلت لصاحب الحلوى : زن لأبي زيد من اللوزينج رطلين فهو أجرى في الحلوق وأمضى في العروق وليكن ليلي العمر يومي النشر رقيق القشر كثيف الحشو لؤلئي الدهن كوكبي اللون يذوب كالصمغ قبل المضغ ليأكله أبو زيد هنيا قال : فوزنة ، ثم قعد وقعدت وجرد وجردت حتى استوفيناه ، ثم قلت : يا أبا زيد ما أحوجنا إلى ماء يشعشع بالثلج ليقمع هذه الصارة ويفتأ هذه اللقم الحارة إجلس أبا زيد حتى نأتيك بسقاء يأتيك بشربة ماء .
ثم خرجت وجلست بحيث أراه ولا يراني أنظر ما يصنع فلما أبطأت عليه قام السوادي إلى حماره فاعتلق الشواء بإزاره وقال : أين ثمن ما أكلت ؟ قال أبو زيد : أكلته ضيفاً . فلكمه لكمة وثنى عليه بلطمة ، ثم قال الشواء : هاك ومتى دعوناك ؟ زن يا أخا القحة عشرين .
فجعل السوادي يبكي ويحل عقده بأسنانه ويقول : كم قلت لذلك القريد أنا أبو عبيد وهو يقول : أنت أبو زيد فأنشدت :

أعمـل لرزقك كل آله　　لا تـقـعدن بـذل حـــاله
وانـهض بـكـل عزيمة　　فـالمرء يعجز لا محاله

التعريف بالكاتب :
هو أبو الفضل أحمد بن الحسين بديع الزمان الهمذاني ، الشاعر الناثر .
معجزة همذان وفريد دهره رواية وحفظاً وغرة عصره بديهة وذكاء .
ولد عام ٣٥٨هـ في همذان إحدى مدن فارس الشمالية تعلم بالفارسية .
والعربية ثم درس العربية وآدابها وبرع فيها ولم يترك أديباً في همذان إلا استنفذ ما عنده غادر همذان عام ٣٨٠هـ وهو غض الشباب إلى مدينة الري .
أملى أربعمائة مقامة في نيسابور بطلها وراويها عيسى بن هشام في الكدية وغيرها بلفظ رشيق وسجع رقيق غير أن هذه المقامات لم يصلنا منها إلا بضع وخمسون .

دخل في مناظرات ومكاتبات ومناوشات مع أشهر أديب في عصره أبي بكر الخوارزمي وبسبب ذلك أشتهر وطار ذكره وارتفع عند الملوك والرؤساء ولما مات الخوارزمي خلا له الجو وابتسم له الدهر .
مات في هرات بعد أن استقر فيها رخي العيش سنة ٣٩٨هـ وهو في الأربعين من عمره اختلف في موته فقيل مات مسموماً وقيل غير ذلك .

غريب الكلمات:
الأزاذ : من أجود أنواع التمر ، النقد : النقود أي لا مال له ، محالة : جمع محل أي امكنة بيع الأزاذ ، أنتهز : أي ألتمس الوقوف عليها ، الكرخ : الجانب الغربي من بغداد ، يطرف بالعقد إزاره : يرد أحد طرفي الإزار على الآخر بما يعقد بينهما ، بصيد : أي بمن يحتال عليه ، دمنته : قبره ، البدار : المسارعة ، الصدار : ثوب يلي الجسد ، جمع الكف : قبضته ، لامزقته : أي بالله عليك لا تمزقه ، القرم : الشهوة إلى اللحم ، العرق : ما يفرز من دهن الشواء ، جوذابات : جمع جوذابة وهي خبز يخبز بالتنور ، الرقاق : الخبز الرقيق ، السماق : وهو صغير أحمر من المشهيات ، زينج : نوع من الحلوى يحشى بالجوز واللوز وما شابههما ، أجرى في الحلوق : أسرع سيراً فيها ، أمضى في العروق : أشد سرياناً فيها لسرعة هضمه ، ليلي العمر : صنع في الليل ، يومي النشر : مصنوع ليومه ، جرد : شمر عن ساعده ، يشعشع : يمزج ، يقمع الصارة : يقهر العطش ، يفتأ : يسكن ، اعتلق بإزاره : تعلق ، هاك : خذ من اللكم واللطم ، زن عشرين : أي أعط زنة عشرين درهماً ، القحة : الوقاحة ، عقدة : المقصود عقد كيس النقوذ ، القريد : تصغير قرد .
المعنى العام :
يتحدث الهمذاني على لسان عيسى بن هشام وهو شخصية خيالية أنه اشتهى نوعاً من التمر الجيد الأزاذ وهو خالي الوفاض فخرج ماراً بمحلات ذلك التمر حتى وصل إلى الكرخ هنالك رأى رجلاً ريفياً يسوق حماراً وعقد طرف إزاره على نقوذه فقرر الاحتيال عليه وذهب يرحب به ويسأله أسئلة عديدة وعندما أخطأ باسمه تخلص بلباقة وأصر بلا حرج أنه يعرف السوادي الغر " البريء الساذج " ويتألم لموت والده إلى درجة أنه كان سيشق صداره حزناً .
وبعد أن دعاه إلى غذاء الشواء وصدق السوادي أنها فرصة لطعام شهي يسيل اللعاب من لحم مشوي يتقاطر دسمه على الخبز ورائحة تدغدغ الأنف

قال : عيسى بن هشام للشواء أعط السوادي من خير ما تشوي زبدة التنور لحماً ناعماً كالكحل المسحوق والطحين المدقوق ثم طلب رطلين حلواء رؤيتها تزيد من إسالة اللعاب ، وكل ذلك باسم السوادي وبعد أن أكلا نهض ابن هشام بحيلة أنه سيحضر سقاء وعندما تأخر قام السوادي للإنصراف فأمسكه الشواء وشادّه فاضطر السوادي إلى إعطائه عشرين درهماً وهو يبكي على ماله الذي لم يحسب حساب صرفه ويُنهي ابن هشام المقامة بالبيتين اللذين يمدح فيهما نفسه ونجاح حيلته مع أن الاحتيال سلوك يتعارض مع القيم والأخلاق الإسلامية والإنسانية .

بعض الصور البلاغية :

١- السجع في قوله " الأزاد – بغداد "

٢- الجناس في قوله " عرقاً – مرقاً " وهو غير تام

٣- الكناية في قوله " نبت الربيع على دمنته " كناية على قدم موت صاحب القبر ، ٤- وفي قوله " يتقاطر شواؤه عرقا " كناية عن دسم اللحم ، ٥- وفي " زبدة تنورة " كناية عن تقديم أجود ما لديه ٦- وفي قوله " لؤلؤي " تشبيه بالاضافة حيث أضاف المشبه به " اللؤلؤ " إلى الذهن ٧- كذلك نجد التشبيه في قوله " يذوب كالصمغ " .

تاسعاً نماذج شعرية

مدخل

لم يقف الإسلام موقف المحارب للشعر المهاجم له وإنما حارب شعراء المشركين الذين هاجموا الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وتصدوا لدعوته، أخرج أبو داود عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال : جاء أعرابي إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فجعل يتكلم بكلام فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : (إن من البيان لسحرا وإن من الشعر حكماً) وقد كان الرسول صلى الله عليه وآله وسلم يسمع الشعر ويرتاح له ويستشهد به أحياناً مع تغيير فيه من تقديم وتأخير ويكافئ المجيد ويشجعه كما كان صلى الله عليه وآله وسلم يشجع حسان وعبدالله بن رواحة ويستنشد الخنساء ويستزيدها قائلاً هيه يا خناس .

ذكر ابن عبدالبر رحمه الله في الاستيعاب أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم دعا يوماً عبدالله بن رواحة وقال له : (قل شعراً تقتضيه الساعة وأنا انظر إليك) فانبعث عبدالله بن رواحة يقول :

إني تفرست فيك الخير أعرفه   والله يعلم أن ما خانني البصر
أنت النبي ومن يحرم شفاعته   يوم الحساب فقد أزرى به القدر
فثبت الله ما أتاك من حسن   تثبيت موسى ونصراً كالذي نصروا

فدعا له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بقوله : (وأنت فثبتك الله يابن رواحة) إ.هـ.

وفي البخاري قوله صلى الله عليه وآله وسلم في ابن رواحة :(إن أخاكم لا يقول الرفث) .

وهذا كعب بن زهير يقبل على الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وقد كان أهدر دمه فيقول له هذا مكان العائذ بك ثم ينشده قصيدته التي مطلعها :

بانت سعاد فقلبي اليوم متبول   متيم إثرها لم يفد مكبول

ويقول فيها :

نبئت أن رسول الله أوعدني   والعفو عند رسول الله مأمول

فما كان من الرسول صلى الله عليه وآله وسلم إلا أن عفا عنه وتجاوز عن سيئاته ووهب له بردته الشريفة .

وفي البخاري قوله صلى الله عليه وآله وسلم : (يا حسان أجب عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اللهم أيده بروح القدس) .
وقد كان حسان رضي الله عنه ينشد الشعر في المسجد .
وفي البخاري عن خبيب الأنصاري رضي الله عنه حين خرجوا به من الحرم ليقتلوه في الحل قال لهم خبيب ذروني أركع ركعتين فتركوه فركع ركعتين ثم قال : لولا أن تظنوا أن ما بي جزع لطولتها اللهم أحصهم عدداً .

ولست أبالي حين أقتل مسلماً على أي شق كان لله مصرعي
وذاك في ذات الإله وإن يشأ يبارك على أوصال شلو ممزع

فكان خبيب هو من سن الركعتين لكل امرئ مسلم قتل صبراً أي أسيراً .
وقد كان الخلفاء الراشدون يستشهدون بالشعر وبعضهم يقوله ورأينا في جميع العصور الإسلامية ما لا يحصى من العلماء والفقهاء والقضاة والمحدثين والحفاظ الكبار من نظم الشعر وهم من صفوة الناس تقى وورعاً ولو كان فيه أدنى محظور لما تفوهوا به .
فالإسلام لا يحارب الشعر والفن لذاته كما يظنه بعض الناس إنما يحارب منهج الأهواء والمغالاة والانفعالات التي لا ضابط لها فالشعر باب الكلام حسنه حسن وقبيحه قبيح .
والشعر ديوان العرب وخزانة حكمتها ومستنبط آدابها ومستودع علومها .
والحمد لله رب العالمين ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

النص الأول

الفخر بانتصار المسلمين وهزيمة الكفار يوم بدر

لكعب بن مالك

النص :

عجبت لأمر الله والله قادر	على ما أراد ليس لله قاهر
قضى يوم بدر أن نلاقي معشراً	بغوا وسبيل البغي بالناس جائر
وقد حشدوا واستنفروا من يليهم	من الناس حتى جمعهم متكاثر
وفينا رسول الله والأوس حوله	له معقل منهم عزيز وناصر
فلما لقيناهم وكل مجاهد	لأصحابه مستبسل النفس صابر
شهدنا بأن الله لا رب غيره	وأن رسول الله بالحق ظاهر
وقد عريت بيض خفاف كأنها	مقابيس يزهيها لعينيك شاهر
بهن أبدنا جمعهم فتبددوا	وكان يلاقي الحين من هو فاجر
فكب أبو جهل صريعاً لوجهه	وعتبة قد غادرنه وهو عاثر
فأمسوا وقود النار في مستقرها	وكل كفور في جهنم صائر
وكان رسول الله قد قال أقبلوا	فولوا وقالوا إنما أنت ساحر
لأمر أراد الله أن يهلكوا به	وليس لأمر حمَّه الله زاجر

تعريف بالشاعر :

هو كعب بن مالك بن أبي كعب شاعر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أحد السبعين الذين بايعوا بالعقبة رضي الله عنهم وشهد المشاهد كلها إلا بدراً وهو القائل ويقال إنه أفخر بيت قالته العرب :

وبئر بدر إذ يرد وجوههم	جبريل تحت لوائنا ومحمد

ولم يتخلف عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلا في تبوك ولم يكن تخلفه عن قصد وتهاون وقد أنزل الله عزوجل في توبته قرآناً

كان الرسول صلى الله عليه وآله وسلم يستمع إلى شعره وهو ينشد ويرتاح إلى ذلك بل ويطلب إليه أن ينشده .

قال ابن سيرين : بين رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في سفره قد شنق ناقة بزمامها حتى رأسها عند مقدمة الرحل إذ قال صلى الله عليه وآله وسلم يا كعب بن مالك أحدُ بنا فقال كعب :

قضينا مـــن تهامة كـل حق   وخيبـر ثــم أجمعنـا الـسيوفا
نـخـبرهـا ولـو نـطـقت لقالت   قـواطـعـهن دوسـاً أو ثـقـيـفـا

وقد نظم في أغراض الشعر من مديح وهجاء وفخر ورثاء ولكنه أجاد في مدح الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ورثائه فمن أبياته يفتخر بالإسلام وبقومه الأنصار :

الله أكـــرمنا بنـصـر نبينـا   وبنـا أقـــام دعـــائم الإســلام
وبـنـا أعـــز نبيه ووليـــه   وأعـــزنا بـالـنـصـر والإقـــدام

مات رضي الله عنه في خلافة علي رضي الله عنه وقد كف بصره .

غريب الكلمات:

٣- استنفروا من يليهم : استعانوا في الحرب بحلفائهم ، ٧- عريت بيض : جردت سيوف من أغمادها ، مقابيس : جمع مقباس وهو شعلة النار ، ويزهيها : يشعلها ، شاهر السيف : رافعه ، ومعنى البيت وقد جردنا سيوفنا من أغمادها وكأن منظرها وهي تلمع في أيدينا أشبه بشعل من النار يرفعها الناس في الظلام ، ٨- الحين : الموت والهلاك ، ٩- كب : صرع ، والنون في غادرنه للسيوف والعاثر المصروع ، ١٢- حمَّه الله : قضاه الله وأراده ، زاجر : رادع .

المعنى العام :

النص واحد من شعر المخضرمين وهم أولئكم الذين شهدوا الجاهلية وأدركهم الإسلام ولذا فإننا نرى فيها أثر البيئة التي لم تتغير في طبيعتها وإنما تغيرت في طبيعة أهلها بما كان من صنيع الإسلام فيهم لذلك العبارات مستقاة من الإسلام سهلة واضحة والأبيات غرضها العام هو المدح وقد تجلت في الأبيات.

بعض الصور البلاغية :

انظر مثلاً إلى التشبيه في قوله (له معقل منهم) وتشبيه آخر في قوله (بيض خفاف كأنها مقابيس) والأبيات مذيلة بالحِكَم كقوله (ليس لله قاهر) وقوله (سبيل البغي بالناس جائر) وقوله (ليس لأمر حمَّه الله زاجر) والأبيات تحدثت عن عظيم قدرة الله ورفض البغي وحب الجهاد .

النص الثاني

حسان رضي الله عنه يمدح الرسول صلى الله عليه وآله وسلم

النص :

أغرُّ عليه للنبوة خاتمُ ... من الله مشهودُ يلُوحُ ويشهد
وضم الإله اسم النبي إلى اسمه ... إذا قال في الخمس المؤذن أشهد
وشق له من اسمه ليُجِلّهُ ... فذو العرش محمود وهذا محمد
نبي أتانا بعد يأس وفترة ... من الرسل والأوثان في الأرض تُعبَدُ
فأمسى سراجاً مستنيراً وهادياً ... يلوح كما لاح الصقيل المهند
وانذرنا ناراً وبشر جنة ... وعلمنا الإسلام فالله نحمدُ
وأنت إله الخلق ربي وخالقي ... بذلك ما عمَّرتُ في الناس أشهد
تعاليت رب الناس عن قول من دعا ... سواك إلهاً أنت أعلى وأمجد
لك الخلق والنعما والأمر كله ... فإياك نستهدي وإياك نعبد

تعريف بالشاعر :

هو شاعر الإسلام حسان بن ثابت الخزرجي يكنى بأبي الوليد وبأبي الحسام لمناضلته عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ولد في المدينة المنورة وبها تربى ونشأ وهو من فحول الشعراء كان أحد المعمرين المخضرمين عاش مائة وعشرين سنة ستين في الجاهلية وستين في الإسلام ، ولشعر حسان رضي الله عنه قيمة أدبية فقد نفح الأدب العربي هذه القصائد الرائعة التي هي آيات من البيان ونفحات من الإيمان يسعد القارئ بسحر بيانها كما يسعد بصدق إيمانها .

وأهم خصائص شعر حسان رضي الله عنه الرقة والسهولة والبعد عن الغرابة والتعقيد لذلك اتصف شعره بشعر الإنشاد الإسلامي لقوة العاطفة فيه وصدق الوجدان وما كان كذلك كان أجدر على تحريك العواطف وإثارة الوجدان كما أن لشعر حسان رضي الله عنه قيمة تاريخية إذ يعتبر وثائق ثابتة للدعوة ومراحلها وسجلاً حافلاً وديواناً صادقاً لأحداثها لأنه رضي الله عنه صور وقائع الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وغزاوته والأحداث التي مرت به خير تصوير ومن جميل شعره قوله :

وإنما الشعر لب المرء يعرضه ... على الأنام فإن كيسا وإن حمقا
وإن أشعر بيت أنت قائله ... بيت يقال إذا أنشدته صدقا

غريب الكلمات:

١ـ أغر : كريم الفعال ، عليه للنبوة خاتم : جعل الله عز وجل لنبيه صلى الله عليه وسلم خاتماً يلوح ويشهد بنبوته ، ٣ـ ليجله : ليعظمه ويسمو به ، ٥ـ يلوح : يلمع

المعنى العام :

يصف حسان رضي الله عنه الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بأنه كريم الفعال طيب الخصال عظيم الأخلاق عليه طابع النبوة يلمع ويشاهد مضيئاً مشرقاً يبدد حوالك الظلام وقد قرن الله عزوجل اسم نبيه باسمه تكريماً له وتعظيماً لشأنه فإذا أذن المؤذن في الخمس يقول : أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمد رسول الله وهذا غاية في التعظيم والتكريم وعلو المنزلة وتكريماً له وإجلالاً لمنزلته شق الله جل جلاله من اسمه اسم نبيه فذو العرش محمود وهذا محمد .

نبي أتانا بفضل الله ورحمته بعد يأس قاتل وزمن انقطاع الرسل حيث الناس في ضلالة عمياء وجهالة جهلاء الشر محتدم والجو مضطرم والأوثان معبودة من دون الله والنفوس تتطلع إلى منقذ وتهفوا إلى مصلح يهديها سواء السبيل .

أرأيت إلى ذلك النبي العظيم والرسول الكريم كيف يشق جوف الدجى ويبدد حنادس الظلام إنه صلى الله عليه وآله وسلم السراج المنير يضئ بنوره مشارق الأرض ومغاربها ويلمع كما يلمع السيف الهنداوي وسط المعركة حيث مثار النقع متناثر هنا وهناك إنه هادي البشرية ومنقذ الإنسانية ومعلم الفضيلة سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم جاء رحمة للعالمين بشيراً ونذيراً يبشر من آمن برضوان الله الأكبر والنعيم المقيم وينذر الجاحدين بالحطمة وما أدراك ما الحطمة نار الله الموقدة التي تطلع على الأفئدة إنها عليهم مؤصدة في عمد ممددة .

الحمد لله والشكر له على نعمه التي لا تعد ولا تحصى وما أفاء بتعليمنا الإسلام وهدايتنا به تباركت يا رب ما أعظم شأنك جلت عظمتك وقدرتك خلقتنا وأنت ربنا ونحن نقر بربوبيتك ونشهد بوحدانيتك ما دمنا أحياء .

تباركت ربنا وتعاليت عن قول الضالين وادعاء الملحدين فأنت أحد صمد لك الأمر كله فإياك نستهدي وإياك نعبد .

بعض الصور البلاغية :

التشبيه يلوح كما لاح الصقيل المهند .

الطباق بين نار وجنة .

النص الثالث
مالك بن الريب يرثي نفسه

النص :

ألا ليت شعري هل أبيتن ليلة بجنب الغضا أزجي القلاص النواجيا

لقد كان في أهل الغضا لودنا الغضا مزار ولكن الغضا ليس دانيا

فيا صاحبي رحلي دنا الموت فانزلا برابية إني مقيم لياليا

وقوما إذا ما استل روحي فهيئا لي السدر والأكفان ثم أبكيا ليا

ولا تحسداني بارك الله فيكما من الأرض ذات العرض أن توسعا ليا

خذاني فجراني ببردي إليكما فقد كنت قبل اليوم صعباً قياديا

تذكرت من يبكي عليَّ فلم أجد سوى السيف والرمح الرديني باكيا

وأشقر خنذيذ يجر عِنانه إلى الماء لم يترك له الدهر ساقيا

ولكن بأطراف السمينة نسوة عزيز عليهن العشية ما بيا

فمنهن أم وابنتاها وخالتي وباكيه أخرى تهيج البواكيا

تعريف بالشاعر :

هو مالك بن الريب بن حوط بن مازن ولد في أول دولة بني أمية ونشأ في بادية بني تميم بجوار البصرة وعرف عنه أنه كان من أجمل العرب وجهاً وأبينهم بياناً حيث امتاز شعره بفصاحة الألفاظ وسهولة التراكيب وعذوبتها يغلب على شعره وحدة الموضوع كما كان أيضاً شجاعاً فاتكاً لا ينام إلا متوشحاً سيفه .

صحب مالك بن الريب سعيد بن عثمان بن عفان حين ولاية سعيد خراسان ولازمه ولما عزل سعيد وعاد معه مالك بن الريب مرض مالك في الطريق فلما أشرف على الموت قال هذه الأبيات يذكر مرضه وغربته يرثي نفسه :

غريب الكلمات :

١- الغضا : شجر لا ينبت إلا في الصحراء ، القلاص النواجيا : النوق الجيدة المسرعة ، ٣- صاحبي رحلي : الرجلان اللذان توليا صحبته ، الرابية : التلة ٦- البرد : الرداء ، ٧- الرديني : نسبة إلى ردينة وهي امرأة عرفت بصناعة الرماح ، ٨- أشقر خنذيذ : حصان أشقر اللون كثير العرق ، ٩- السمينة : مكان قريب البصرة وهو موطن الشاعر ، ١٠- تهيج : تثير .

المعنى العام :

بينما كان الشاعر عائداً إلى وطنه ألم به إحساس أشعره بدنو أجله فتمنى لو تسمح له الأقدار قبل مفارقته للحياة برؤية موطنه وأهله ولو لليلة واحدة يستمتع فيها بشجر الغضا الذي ينبت في أرضه وبلقاء أحبته وأهله وبملاحقة النوق المسرعة الجيدة كما كان يفعل من قبل ولكنه يرى أن أمنيته هذه لن تتحقق نظراً لبعد المكان الذي هو فيه عن موطنه ولم يلبث حتى شعر أن المنية حانت فقال لمرافقيه أنه سيبقى في هذا المكان إلى الأبد لأن وفاته أوشكت وطلب منهما أن يبقيا معه بعض الوقت ليتوليا دفنه وأوصاهما أن يحضرا له الأكفان ويغسلا جسده بشجر السدر الطيب وترجّاهما أن يوسعا له في قبره ولا يبخلا عليه في ذلك فأرض الله واسعة وفيها متسع كما تمنى عليهما أن يجراه برفق ولطف إلى قبره مذكراً أنه كان قبل يومه هذا شديد البأس صعب المراس لا يجرؤ أحد على جره ثم التفت الشاعر حوله فلم يجد من يرثيه في تلك الصحراء المقفرة حيث لا حبيب ولا شفيق سوى هذين الرجلين اللذين ينتظران وفاته ليوارياه تحت التراب غير أن إحساساً بداخله أشعره أن سيفه ورمحه الملقين بجواره حزينان لفراقه وأن فرسه هو الآخر شديد الحزن لفراقه ومع ثقل هذه اللحظات يستشعر الشاعر أن هناك بالسمينة نسوة يتحسرن عليه ويبكينه فمن الباكيات عليه أمه وأخواته وخالته ثم يمعن التحديق فيرى باكية أخرى أعلاهن صراخاً وأكثرهن تهييجاً لمن حولها فيعلم أنها زوجته وقيل ابنته .

بعض الصور البلاغية :

١-الكناية في قوله : (فانزلا برابية) كناية عن المكوث معه بعض الوقت ، (إني مقيم لياليا) كناية عن بقائه الأبدي في المكان الذي حل به .

(كنت قبل اليوم صعباً قياديا) كناية عما كان عليه من شدة البأس والمنعة والعزة .

(اشقر خنذيذ) كناية عن كثرة ركض الخيل وقوة سباقه مما جعله يعرق كثيراً .

٢- استعارة : (استل روحي) شبه الروح وكأنها سيف ينتزع من غمده.

(السيف باكيا) جعل السيف والرمح يبكيان كالإنسان ثم حذف المشبه وأتى بشيء من لوازمه وهو البكاء .

(الدهر ساقيا) شبه الدهر بالإنسان وحذف المشبه به وأتى بشيء من لوازمه وهو السقي .

النص الرابع
دمعة رثاء

لابن الرومي

النص :

بكاؤكما يشفي وإن كان لا يجدي ... فجودا فقد أودى نظيركما عندي
ألا قاتل الله المنايا ورميها ... من القوم حبات القلوب على عمد
توخى حمام الموت أوسط صبيتي ... فلله كيف اختار واسطة العقد
طواه الردى عني فأضحى مزاره ... بعيداً على قرب قريباً على بعد
لقد انجزت فيه المنايا وعيدها ... واخلفت الآمال ما كان من وعد
ألح عليه النزف حتى أحاله ... إلى صفرة الجادي من حمرة الورد
فيا لكِ من نفس تساقط أنفساً ... تساقط در من نظام بلا عقد
لقد قل بين المهد واللحد لبثه ... فلم ينس عهد إذ ضم في اللحد
ألام لما أبدي عليك من الأسى ... وإني لأخفي منك أضعاف ما أبدي
محمد ما شيء توهم سلوة ... لقلبي إلا زاد قلبي من الوجد
وأنت وإن أفردت في دار وحشة ... فإني بدار الأنس في وحشة الفرد
عليك سلام الله مني تحية ... ومن كل غيث صادق البرق والرعد

التعريف بالشاعر :

هو علي بن العباس ولد في بغداد سنة ٢٢١هـ وعاش بها طوال حياته أبوه رومي وأمه فارسية ثقافته عربية إسلامية وقد أضاف إليها من الثقافات الأجنبية التي تركت أثرها في أدبه اشتهر بالتشاؤم والتطير وكان إذا جاءه زائر سأله عن اسمه قبل أن يفتح له الباب فإن كان اسمه يوحي بالشر لم يفتح له وإن كان اسمه يوحي بالخير استقبله وفرح به وله قصص كثيرة في طيرته هذا وقد ابتلي في حياته العائلية فقد مات والده وهو صغير وأمه ومات أخوه الأكبر الذي كان يعوله في الشدائد وبعد ذلك فقد أبناءه الثلاثة وزوجته وكان لفقدهم أثر عظيم في نفسه توفي سنة ٢٨٤هـ شاعر مجيد علم من أعلام القرن الثالث الهجري امتاز بتقصي المعاني تتساوى أجزاء قصائده في الحسن والقوة له براعة نادرة في الوصف كما نبغ في الشكوى والهجاء والعتاب والرثاء وقصيدته في رثاء ابنه محمد من روائع الشعر العربي فقد ضمنها شدة حزنه فأبدع فكانت قصيدته مؤثرة ومعبرة عن تجربة وجدانية صادقة اخترنا لك منها الأبيات أعلاه .

غريب الكلمات :

١- يشفي : يريح ، لا يجدي : لا ينفع ، أودى : مات ، نظيركما : مثلكما في المنزلة ، ٣- توخى : قصد وتعمد ، حمام : موت ، ٤- مزارة : لقائه ، ٥- المنايا : جمع منية وهي الموت ، ٦- ألح : استمر ودام ، أحاله : حوله ، الجادي : نبات الزعفران وهو أصفر اللون ، ٧- تساقط : أي تموت شيئاً فشيئاً ، نظام : خيط تنظم فيه حبات اللؤلؤ وغيرها ، عقد : عقدة تمنعه من الإنفراط ، ٩- توهم : ظن ، سلوة : عزاء ، الوجد : شدة الحزن ، ١٠- أفردت : تركت وحيداً ، دار وحشة : أرض موحشة والمراد بها القبر ، دار الأنس : المراد بها الدنيا .

المعنى العام :

أقر الشاعر في بداية أبياته بأن البكاء يخفف من لوعة الحزن وإن كان لا يفيد في رد ذلك العزيز الذي غيبه الموت وقد خاطب عينيه طالباً منهما أن تجود بالدمع الغزير ، إذ فقد عزيزاً لا يقل عنهما منزلة ويتأمل الشاعر طبيعة الموت وقسوته عليه فيقول : إنه اختطف أوسط أبنائه وأحبهم إليه ، فقد كان بين أخويه كواسطة العقد حسناً ومكانة ثم يتحسر لفراقه الأبدي بعد أن طواه الموت فصار بعيداً لا يستطيع رؤيته مع أن قبره قريب منه وقد نفذ الموت تهديده باختطافه ، أما الآمال فأخلفت وعدها ، وضاع أمله الذي كان يعلقه على ابنه ويصف الأب الحزين لوعته وهو يرى ابنه فريسة بين مخالب المرض والموت ، والدم ينزف منه باستمرار ، حتى إصفر وجهه صفرة الزعفران بعد أن كان أحمر كحمرة الورد .

ويتعجب في حسرة من انهيار صحة ولده وعجزه عن مقاومة المرض حتى ذهبت نفسه شتاتاً وهو في سن الطفولة ، إذ ما كاد يخرج من المهد حتى تلقفه اللحد ، فهل يستطيع الأب أن يقاوم الأسى ، إنه حاول الصبر ولكن حزنه كان بادياً فعاتبه الناس لما أظهر من حزن ، مع أنه يخفي في قلبه أضعاف ما يظهر .

ثم يناجي الشاعر ابنه قائلاً : يا محمد لاشيء يخفف حزني عليك حتى ما يتوهمه الناس عزاء لي ، يزيد فيَّ لوعة وحزناً ، وإن كنت وحيداً في قبرك الموحش فقد تركتني أشعر بالوحشة وأنا في الدنيا بين الناس

ويختتم الشاعر هذه الواقعة الحزينة بتوجيه التحية إلى ولده ، وأن يجوده الغيث تنهمر به سحب حافلة صادقة البرق والرعد .

بعض الصور البلاغية :

دفعت تلك العاطفة الحزينة الشاعر إلى أن يستخدم صوراً وأخيلة بلاغية تؤدي دورها في خدمة المعنى :

(بكاؤكما) استعارة مكنية فقد شبه عينيه بشخصين يخاطبهما .

(يشفي) كناية عن الراحة مع الدموع .

(توخى حمام الموت أوسط صبيتي) استعارة مكنية تصور الموت إنساناً يقصد ابنه الأوسط ويخطفه .

(طواه الردى) استعارة مكنية توحي بقسوة الموت .

(نفس تساقط أنفساً تساقط در من نظام بلا عقد) تشبيه تمثيل فقد شبه النفس التي ألح عليها النزف ففارقت الجسم على مراحل بالعقد الذي انفرط خيطه فتساقط لآلئه حبة بعد أخرى .

ومن أنواع البديع الطباق في قوله : (قريب ، بعيد ، مهد ، لحد) وجميعها توحي بالحسرة .

النص الخامس
من شعر الحكمة

لبشار بن برد

النص :

إذا كنت في كل الأمور معاتباً	صديقك لم تلق الذي لا تعاتبه
فعش واحداً أو صل أخاك فإنه	مقارف ذنب مرة ومجانبه
إذا أنت لم تشرب مراراً على القذى	ظمئت وأي الناس تصفو مشاربه؟
ومن ذا الذي ترضى سجاياه كلها	كفي المرء نبلاً أن تعد معايبه

إذا بلغ الرأي المشورة فاستعن	برأي نصيح أو نصيحة حازم
ولا تجعل الشورى عليك غضاضة	فإن الخوافي قوة للقوادم
وما خير كف أمسك الغل أختها	وما خير سيف لم يؤيد بقائم
وخل الهويني للضعيف ولا تكن	نؤوما فإن الحزم ليس بنائم

التعريف بالشاعر :

هو بشار بن برد بن يرجوخ فارسي الأصل بصري المولد عقيلي النشأة والولاء تربى في قبيلة عقيل وكانت هذه النشأة هي السر الكامن وراء فصاحته ولد بشار أعمى سنة ٩١هـ ونشأ نشأة عربية فصيحة نهل من حلقات العلم والشعر بالبصرة فاستقام لسانه وقال الشعر مبكراً حيث تفتقت موهبته وهو في العاشرة من عمره ويعدّ بشار رأس المحدثين حيث تقدم الشعراء العباسيين وكان غير متحرز في أقواله وأفعاله ومجالسه سليط اللسان على الأمراء والكبراء والعلماء والشعراء ولذلك اتهم بالزندقة وكانت أحد أسباب قتله في سنة ١٦٨هـ وهو شاعر مجيد تمكن من اللغة وامتلك ناصية الإبداع وسخر ذلك في شعره فجاء شعره فطرياً غزير المعاني عميق التفكير دقيق النظم واسع الخيال يدل على ذلك قوله في وصف معركة :

كأن مثار النقع فوق رؤوسنا وأسيافنا ليل تهاوي كوكبه

وكان يفخر بهذا البيت ويقول لا زلت أروي بيت أمرء القيس

كان قلوب الطير رطباً ويابساً لدى وكرها العناب والحشف البالي

حتى صنعت هذا البيت (كأن مثار النقع) .

غريب الكلمات:

٢- مقارف : مرتكب ، ٣- ألقدى : ما يصيب العين والمراد هنا ما يقع في الماء من الأوساخ ، المشارب : موارد الشرب ، ٤- السجايا : جمع سجية والمراد هنا الطبيعة والخلق ، ٥- الحازم : من الحزم ظبط الأمر ، ٦- الشورى : المشاروة والأخذ بالرأي الآخر إذا كان سديداً ، الغضاضة : الذل والمنقصة والعيب ، ٧- الغل : القيد .

المعنى العام

يتألف النص من مقطعين أخذا من قصيدتين مشهورتين للشاعر إحداهما بائية والأخرى ميمية ، ويجمعهما أنهما ينبئان عن تجربة عظيمة في الحياة العقلية للشاعر وعصره وهي الحكمة .

ففي المقطع الأول ألقى الشاعر نظرة على قضية من قضايا العلاقات الإجتماعية وهي الصداقة حيث قال :

إنك لن تجد صديقاً خالياً من بعض الهنّات ، فخير لك أن تقبل صديقاً على ما فيه من عيوب ، من أن تعيش وحيداً فهذه هي طبيعة البشر يخطؤن مرة ويصيبون أخرى فعليك بالاعتدال في العتاب فإن كثرة العتاب كما يقول الجاحظ : سبب للقطيعة واطراحه كله دليل على قلة الإكثراث بأمر الصديق .

ويشبه الشاعر الصديق بالماء يصفو مرة ويكدر أخرى وكذلك الإنسان تعتريه حالات من الجد والهزل والمرح والترح والرضى والغضب والسعادة والبؤس.

وينصح الشاعر مخاطبه ن يوطن نفسه على التعامل مع الصديق بصفاته المختلفة كما هو الحال بالنسبة للماء يشربه صافياً مرة وكدراً تارة أخرى وإلا مات ضمأ .

ويُنهي الشاعر المقطع الأول بالإشارة إلى أن الإنسان كذلك تختلف طباعه وأخلاقه فمنها ما ينال الاستحسان والرضى ومنها ما يقابل بالسخط والرفض وليس في البشر أحد كامل الصفات فإذا وجدت فيهم من تستطيع حصر عيوبه فذلك صديق نبيل فالزمه .

وفي المقطع الثاني يرشد الشاعر مخاطبه إلى الاستشارة إذا عرض له ما يدعوا إلى ذلك على أن يتوافر في المستشار العقل والدين والحكمة وسداد الرأي ، وألا يجعل المستشير الشورى منقصة ومذلة وعيباً فإن الرأي يزداد بالشورى حصافة ونضجاً .

ويشبه الرأي الحصيف إذا ما استعان صاحبه بالشورى بجناح الطائر يزداد قوة على الطيران حين يتضافر ريش قوادمه وخوافيه ويعزز الشاعر فكرته تلك باليد الواحدة تكون عاجزة عن أن تعمل دون أختها وكذلك السيف يكون عاجزاً عن الضرب والقطع إذا لم يكن له يد تجعل منه سيفاً صارماً .
ويختم الشاعر المقطع بحكمة بالغة تدعوا إلى الحزم واليقظة في تدبير الأمور فإن الرأي السديد يتطلب حزماً وعزيمة في اتخاذ القرار .

بعض الصور البلاغية :

١- النهي في قوله : (ولا تجعل الشورى) نهي يراد منه الكف عن اعتبار الشورى منقصة وعيباً ولكن النهي هنا ليس ملزماً بل هو نهي إرشاد .
في البيت الثالث صورة أدبية جميلة تتكئ على الاستعارة التمثيلية حيث شبه تحمل الأذى بالشرب من الماء الكدر وجعل عدم تحملها ظمأ يتحقق منه الإهلاك شبه هذا بمن لم يصبر على هفوات أخيه ويغفر له بعض زلاته لن يجد من لا يخطئ وهذه الصورة هي صورة بديعة من صور التعبير الشعري فقد اختزلت المصائب كلها في مصيبة يتفق عليها الجميع وهي الظمأ وأي مصيبة أعظم منه ؟!

النص السادس
في الزهد

لأبي العتاهية

النص :

يا نفس قد أزف الرحيل	وأظلك الخطب الجليل
فـتـأهـبـي يـا نفس لا	يلعب بك الأمل الطويل
فـلـتـنـزلـن بـمـنـزل	ينسى الخليل بها الخليل
ولـيـركـبـن عليك فيـ	ـه من الثرى ثقل ثقيل
قـرن الـفـناء بنا فما	يبقى العزيز ولا الذليل
إنـي أعـيـذك أن يميـ	ـل بك الهوى فيمن يميل
والـمـوت آخـر علة	يـعـتـلـهـا الـبـدن الـعـلـيـل

التعريف بالشاعر :

هو إسماعيل بن القاسم بن سويد بن كيسان وكنيته أبو إسحاق ولد بالحجاز سنة ١٣٠هـ ونشأ في الكوفة فقير الحال يساعد أباه في بيع الجرار يعد أبو العتاهيه شاعر الزهد في هذا العصر يمتلك شاعرية فياضة وقدرة على النظم بعفوية مما قرب شعره من الناس كافة ، طرق أبواب الشعر فأجاد وأحسن مدائحه في المهدي والرشيد إلا أن تفوقه كان في الحكم وضرب الأمثال .
عرف عنه حرصه على المال وحبه للمعرفة التي نهل من ينابيعها وما أكثرها في عصره وكان قد جرفه تيار المجون ولكنه ندم وعاد إلى الله تعالى مستسلماً منيباً توفي عام ٢١١هـ وله ديوان شعر مطبوع .

غريب الكلمات :

١- أزف الرحيل : أقترب وقته ، تأهبي : استعدي ، الخطب الجليل : يعني الموت ، ٥- قرن الفناء بنا : لازمنا .

المعنى العام :

يخاطب الشاعر نفسه فيقول في هذه الأبيات التي تتضمن فكرة واحدة وهي : (العزوف عن الدنيا)
لقد حان وقت رحيلك عن هذه الدنيا وها هو الموت يدنوا منك فلتستعدي لملاقاة ربك ، ولا تدعي الأمل الخادع يلعب بك .

بعض الصور البلاغية :

١- استعارة مكنية في قوله (لا يلعب بك الأمل الطويل) حيث شبه الأمل بالإنسان وحذف المشبه به ورمز إليه بشيء من لوازمه وهو اللعب ، وفي ذلك إشارة إلى ضعف النفس التي تستسلم للأمل يلعب بها .

٢- وفي البيت الثالث يكني عن القبر بالمنزل في قوله:(فلتنزلن بمنزل) وفي ذلك تنبيه إلى النهاية الحتمية وهي الموت .

٣- وفي البيت الخامس ذكر لنا محسناً من المحسنات وهي المطابقة بين (العزيز والدليل) لتقوى المعنى وتزيد في التأثير الموسيقي .

٤- استخدام أسلوب الإنشاء الطلبي كالنداء والأمر ، كقوله : (يا نفس) وهو أسلوب نداء يستدعي مطلوباً غير حاصل وقت الطلب ذلك أن الشاعر يرى في نفسه ونفوس السامعين الغفلة ، فيطلب منها أن تتنبه وقد جاءت كلمة نفس نكرة فلم يقل يا نفسي واستخدم أداة النداء البعيد (يا) ليوحي بغفلة هذه النفس وبعدها عن العقل .

النص السابع
في المدح

لأبي الطيب المتنبي

مناسبة النص :

علم سيف الدولة أن الروم احتلوا ثغراً من ثغور الدولة المتاخمة لبلادهم يسمى الحدث فسارع إليه ونزل به في جمادي الآخرة سنة ٣٤٣هـ ونازل جيش الروم وهزمهم وقتل وأسر منهم خلقاً كثيراً ثم أقام في هذا الثغر حتى فرغ من بنائه وقد أنشده المتنبي الذي كان يصحبه هذه القصيدة يمدحه فيها.

النص :

علـى قـدر أهـل العـزم تـأتي العـزائم ... وتـأتي علـى قـدر الكـرام المكـارم
وتـعظـم فـي عيـن الـصغير صغارها ... وتـصغر فـي عـين العظـيم العظـائم
إذا كـان مـا تـنـويه فـعـلاً مـضـارعاً ... مضى قبل أن تلقى عليه الجوازم
وكيـف ترجي الـروم والـروس هـدمها ... وذا الـطـعن أسـاس لـهـا ودعـائم
أتـــوك يـجــرون الـحـديـد كـأنـهـم ... ســـروا بجيـاد مـــالـــهن قـوائم
إذا بـرقـــوا لـم تـعـرف البيض منهم ... ثـيـابهم مـن مـثـلـهـا والـعمـائم
خمـيس بـشرق الأرض والـغـرب زحفـَهُ ... وفـــي أذن الــجـوزاء منـه زمـازم
تـجـمـــع فيـــه كـــل لــسن وأمـــة ... فــمـا تـفـهـم الـحـداث إلا الـتـراجم
وقفـت ومـا فـي المـوت شـك لواقـف ... كـأنـك فـي جفـن الـردى وهـو نـائم
تـمـر بـك الأبطـال كلمـى هزيمـة ... ووجـــهـك وضـاح وثـغرك بـاسـم
ضـممت جنـاحيهم علـى القلـب ضـمة ... تـمـوت الـخـوافـي تـحتها والقوادم
حـقـرت الـردينـيـات حـتـى طـرحـتـها ... وحتـى كـأن الـسيـف لـلـرمح شاتم

تعريف بالشاعر :

هو أحمد بن الحسين كنيته أبو الطيب ولقبه المتنبي لقب بذلك لأنه كما قيل ادعى النبوة في الشام أو لقوله :

أنا في أمة تداركها الله ... غريب كصالح في ثمود

ولد في الكوفة عام ٣٠٣هـ من أبوين فقيرين فقد كان أبوه سقاء سافر وهو صغير إلى الشام ، متنقلاً من البادية إلى الحاضرة نال حظه من علوم اللغة والأدب فـأخـذ يـضـرب فـي الأرض ابـتـغـاء لـلـرزق واكتسابا للمجد ويمثل أبو الطيب الشعر العربي في أزهى قوته ونضجه الفني .

كان المتنبي منذ نشأته كبير النفس ، عالي الهمة طموحاً ، ملأ الدنيا وشغل الناس .
وشعر المتنبي شغل الدنيا فحظي باهتمام كبير ، لم يحظ به شاعر آخر فقد كان النقاد واللغويون ينظرون في شعره ملياً ، فيظهرون معاني خفية لم تكن تخطر على بال المتنبي بدأت شهرة المتنبي مع اتصاله بأبي العشائر والي انطاكية فأكرمه ثم قدمه إلى سيف الدولة في حلب فضمه الأمير سيف الدولة إليه وأمر بتعليمه الفروسية حتى لا يفارقه في الحرب والسلم ومدح سيف الدولة مدائح كثيرة .
ثم بعد ذلك حدث بين المتنبي وسيف الدولة جفاء بسبب الحساد والوشايات ثم فارق المتنبي حلب إلى مصر عام ٣٤٦هـ وأقام خمس سنوات ثم انتقل إلى بغداد وبعد أن قضى فترة في العراق سافر إلى أرجان حيث قابل عضد الدولة .
وفي طريق عودته إلى العراق وقع في كمين نصبه له فاتك الأسدي لأن المتنبي كان قد هجاه فمات قتيلاً سنة ٣٥٤هـ .
غريب الكلمات :
١- العزائم : جمع عزيمة وهي ما يعزم عليه الإنسان ، ٤- الأساس : هو ما يبنى عليه غيره ، الدعائم : جمع دعامة وهي عماد البيت ، ٦- البيض : السيوف ، ٧- الخميس : الجيش العظيم ، الجوزاء : أنجم في السما ، الزمازم : جمع زمزمة وهي الأصوات الشديدة التي لا تفهم لتداخلها ، ٨- اللسن : اللغة ، الحداث : جمع لا مفرد له من لفظه وهو بمعنى متحدث أي متكلم ، التراجم : جمع ترجمان ، ١١- الجناحان : جانبا الجيش أي الميمنة والميسرة ، الخوافي : أربع ريشات من جناحي الطائر تختفي عندما يضم الطائر جناحيه ، القوادم : أربع ريشات في أول الجناحين ، ١٢- الردينيات : الرماح وسميت كذلك لأنها منسوبة إلى امرأة باليمامة اسمها ردينة كانت هي وزوجها تصنع الرماح .
المعنى العام :
يقول الشاعر : يأتي إنجاز الأمور على قدر طموح أصحابها وعلو هممهم فالأمور الصغيرة تكون كبيرة في عين الإنسان صغير الطموح والعكس .
فإن الأمور العظيمة تبدو صغيرة هينة في عين الإنسان الذي هو عظيم الطموح والنفس .

ويخاطب الشاعر سيف الدولة قائلاً : إذا نويت أمراً فإنك تفعله وتحققه دون أن يحول حائل إذ كيف ترجوا الروم والروس هدم قلعتك في ثغر الحدث مادامت قد قامت على هذا الطعن والقتال الشجاع .

حمى الروم أجسامهم بالحديد هم وخيولهم حتى إن هذه الخيول بدت بلا أرجل أو قوائم وكانوا في منظرهم هذا يبرقون حتى لا يكاد الرائي يميز بين سيوفهم وما عليهم من حديد كما كان جيشهم عرمرما منتشراً في كل الأنحاء حتى إن الأصوات المختلفة في جيوشهم تصل إلى الجوزاء واجتمع في هذا الجيش أناس من مختلف الطوائف والأجناس فما يتفاهمون فيما بينهم إلا بواسطة مترجمين لقد وقفت يا سيف الدولة وقفة شجاع لا تخاف الموت بل إنك قد كنت محاطاً بالموت ورغم أن مرور الجرحى مهزومين يحبط المقاتل إلا أن رؤيتك لهم لم تثني عزيمتك ولم تضعفها بل كنت مشرق الوجه مبتسماً واثقاً بنصر الله لففت أطرافهم على وسطهم فأهلكت الجميع بقتل أولهم وآخرهم وتركت الرماح وازدريتها لأنها سلاح الجبناء تصيب العدو من بعد واتخذت السيف أداة شجاعة تحتم الأقتراب من العدو بلا تهيب .

بعض الصور البلاغية :

الصورة الأولى : يلتفت الشاعر إلى الممدوح التفات إعجاب شديد دل عليه التشبيه الجميل (كأنك في جفن الردى وهو نائم) تعبير عن بسالة سيف الدولة غير المحدودة وقال جفن الردى تعبيراً عن أن الموت لم يكن بينه وبين سيف الدولة أي مسافة بل إن الموت كان محيطاً به .

الصورة الثانية : يرجع الشاعر بعد ذلك في البيت الثاني عشر إلى الخصوم الروم مستخدماً التشبيه التمثيلي حين شبه سيف الدولة يضغط ميمنة وميسرة الجيش على وسطة فيفنيهم بشخص يظغط على جناحي طائر فيتحطم ويهلك .

الصورة الثالثة : ختم الأبيات بصورتين جميلتين الأولى حين صور إهمال الرماح من قبل سيف الدولة كما لو كان ازدراء .

والثانية : الاستعارة المكنية (السيف للرمح شاتم) .

النص الثامن
وجد وشوق

لابن الفارض

النص :

لم أقض حق هواك إن كنت الذي ... لم أقض فيه أسى ومثلي من يفي
مالي سوى روحي وباذل نفسه ... في حب من يهواه ليس بمسرف
فلئن رضيت بها فقد أسعفتني ... يا خيبة المسعى إذا لم تسعفِ
أخفيت حبكم فأخفاني أسى ... حتى لعمري كدت عنه أختفي
وكتمته عني فلو أبديته ... لوجدته أخفى من اللطف الخفي
لا غرو أن شحت بغمض جفونها ... عيوني وسحت بالدموع الذرف
غلب الهوى فأطعت أمر صبابتي ... من حيث فيه عصيت نهي معنفي
دع عنك تعنيفي وذق طعم الهوى ... فإذا عشقت فبعد ذلك عنف

التعريف بالشاعر :

هو أبو القاسم عمر بن علي بن مرشد لقب بابن الفارض حموي الأب مصري المولد والنشأة والوفاة يمتد نسبه إلى قبيلة بني سعد التي تنتمي إليها السيدة حليمة مرضعة النبي محمد عليه الصلاة والسلام .

كان أبوه رجل علم وفضل وجاه يتصدر مجالس الحكم والعلم وعندما طلب منه أن يكون قاضياً للقضاة امتنع واعتزل الناس وانقطع إلى عبادة الله بالجامع الأزهر واجتهد في توريث ابنه كل سجاياه الحميدة فنشأ ابن الفارض تحت كنف أبيه في عفاف وقناعة وورع فلما قوي عوده اشتغل بفقه الشافعية وأخذ الحديث عن ابن عساكر كما عرف عنه ميله إلى الخلوة والتأمل وكثرة العبادة وحبه للتقشف .

ثم بعد وفاة والده قصد مكة المكرمة وأقام فيها زهاء خمسة أعوام وهناك بين المناسك المقدسة نضجت شاعريته وكملت مواهبه الروحية ثم عاد إلى مصر وقد سبقه إليها ذكره العطر فعرف الناس فضله فرفعوه إلى مصاف الصالحين .

لابن الفارض ديوان شعر التزم فيه لوناً معيناً وهو الوجد الروحي الهائم في الحب الإلهي وقد امتاز شعره بالرقة والعاطفة

ترجم ديوانه إلى لغات عديدة وظل عطاؤه متدفقاً حتى وافته المنية رحمه الله عام ٦٣٢هـ ودفن في القاهرة .

غريب الكلمات

١ـ أقض الأولى : أفي من الوفاء ، أقض الثانية : أموت ، أساً : حزناً ولوعة
٥ـ اللطف : الخفي جداً بحيث يصعب إدراكه ٦ـ لا غرو : لا عجب ،

شحت : بخلت ، سحت : سالت ، الدموع الذرف : الدموع المنهمرة لشدة تدفقها
٧- صبابتي : الصبابة شدة العشق .

المعنى العام

يصف ابن الفارض حبه الكبير لخالقه فيقول : إن كنت لم أتحرق لوعة وشوقاً في طلب محبتك فلست جديراً بهذا الحب العظيم والنفس التي يقصد الشاعر التضحية بها تعنى التخلص من كل أهوائه ورغباته بحيث لا يكون في قلبه سوى محبة الله فالمحب الصادق الذي يماثلني في مقامي لابد أن يكون مخلصاً في حبه مهيماً في محراب من يحب ، فها أنا أصبحت لا أملك غير روحي التي لا استطيع أن أتصرف بها ، كونها نفحة من روحك أما نفسي فقد تخليت عنها وبذلتها وتنازلت عن كل متعة لي حتى أحظى برضاك عن حبي .

وليس بمسرف من يجود بأنفس ما يملك لمن يحب فإذا رضيت عني وقبلت حبي أكون قد بلغت المنى وحظيت بالسعادة أما إذا لم تقبله مني فإني أندب جدي وسعيي اللذين خابا وبطل أملهما في بلوغ هذه الغاية العظمى .

ويتابع الشاعر وصف أحاسيسه فيقول :

لا أعجب من بخل عيني بنومها وسماحتها بدموعها الغزيرة فهذا يعكس مكابدتي وصبري لما تقتضيه المحبة من عذاب الجوى شوقاً إلى المحب وأقول لمن يحاول من العاذلين أن يثنيني عن هذا الحب العظيم لو أحببت كما أحببنا لفهمت كما فهمنا .

بعض الصور البلاغية :

١-الجناس التام في كلمتي (أقض أقض) حيث اتفقتا في عدد الحروف وترتيبها بينما اختلفتا في المعنى فالأولى بمعنى أفي من الوفاء والثانية بمعنى أموت .

٢-المقابلة في (أطعت ، عصيت ، أمر ، نهي) التي ساهمت في تصوير رفض الشاعر المطلق لأي مساومة تثنيه عن التخلي عن حبه .

٣- الاستعارة المكنية التي وردت في قوله : (أمر صبابتي ، ذق طعم الهوى ، أخفاني أسى) قد جسدت المعاني المعنوية في صور حسية مشخصة فالصبابة تأمر والهوى يمكن تذوقه والحب له القدرة أنه يختفي ويختفى عنه!

النص التاسع
جادك الغيث

للسان الدين بن الخطيب

النص :

جـــادك الـــغـــيث إذا الغيث همى	يـــا زمـــان الـوصـل بالأندلس
لـــــم يـــــكـــــن وصلك إلا حلما	في الكرى أو خلسة المختلس
إذ يـقــود الــدهــر أشـتـات المنى	تنقل الخطو على ما يرسم
زمـــراً بـــيـــن فـــــرادى وثنى	مثلما يدعو الوفود الموسم
والـحـيـا قــد جـلــل الروض سنا	فثغور الزهـــر منه تبسم
وروى الـنـعـمـان عـن مـاء السماء	كيف يروي مالك عن أنس
فـكـسـاه الـحـسـن ثـوبـــاً معلماً	تزدهي منه بأبهى ملبس
فــي لـــيـال كـتـمـت سـر الـهـــوى	بالدجى لولا شموس الغرر
مـــال نــجـم الـكـأس فـيهـا وهوى	مستقيم السير سعـــد الأثر
وطـــرّ مـــا فـيـه مـن عيب سوى	أنـــه مـــرّ كلمح البصر
حــيـــن لـذ الأنـس شـيـئـاً أو كـمـا	هجم الصبح هجوم الحرس
غـــارت الـشـهـب بـنـا أو ربّمـــا	أثـــرت فـيـنـا عيون النرجَسِ

التعريف بالشاعر :
هو محمد بن عبدالله بن سعيد المعروف بلسان الدين بن الخطيب ولد بمدينة لوشة قرب غرناطة عام ١٣١٣م من أسرة هاجرت من الشام إلى الأندلس فنشأ في مهد السيادة والعلم وشب أديباً كاتباً ومتطبباً اشتغل بالسياسة فعين وزيراً لملوك بني الأحمر في غرناطة مات سنة ١٣٧٤م وقد ترك كتباً يناهز عددها الستين معظمها في التاريخ والأدب والتصوف والطب. وهذا النص من أشهر الموشحات الأندلسية وهاك تعريفاً لها :

التعريف بالموشحات الأندلسية

الموشح : اسم لنوع من الشعر استحدثه الأندلسيون في القرن الثالث الهجرى على أشكال مختلفة متنوعة القوافي وتسمى القصيدة الجارية على هذا النظام موشحة وسميت بذلك لما فيها من زخرفة تجعلها كالمرأة المتزينة بالوشاح وهو نسيج عريض مرصع بالجواهر وتخرج الموشحات

أحياناً على أوزان الشعر العربي إذ نظم الوشاحون على أوزان لم يعرفها الشعر العربي .
ومن شعراء الموشحات :
ابن زهر ، وابن عربي ، ولسان الدين بن الخطيب وغيرهم .
تكوين الموشحة وبناؤها :
١-المطلع : وهو القفل الذي يفتتح به الموشح
٢-الدور : وهو القسم الواقع بين قفلين ويشترط فيه أن تختلف قوافيه عن قوافي الأقفال وعن قوافي الأدوار الأخرى
٣- القفل بضم القاف : وهو جزء يتكرر في الموشح ويشترط في الأقفال أن يكون لها قواف واحدة في الموشح كله .
والقفل يربط بين الأدوار ، لأنه يلتزم بقافية لمطلع ، والقفل في مطلع القصيدة يسمى مطلعا والقفل في ختامها يسمى الخرجة .
وقد ظهر هذا الفن في الأندلس لأسباب هي :
١- بعد عرب الأندلس عن أوطانهم في المشرق مما أتاح لهم قدراً من التحرر أدى إلى التجديد في القالب الشعري .
٢- تأثر الشعراء العرب بالأغاني والأناشيد الشعبية الأندلسية المتحررة من الوزن والقافية .
٣- ميل الشعراء إلى المرح والغناء الذي يحتاج إلى أنغام متنوعة لا تتحقق في القافية الموحدة .
غريب الكلمات :
١- جادك الغيث : سقاك الغيث ، همى : هطل ، ٢- الكرى : النوم ، خلسة : خفية ٣- أشتات المنى : الأماني المتفرقة ، ترسم : يخطط ، ٥- الحيا : المطر ، جلل الروض سنا : كساه أزهاراً تلمع وتتلألأ ٦- شقائق النعمان : وهو ورد أحمر ، ٧- معلما : ملونا ، يزدهي : يختال ، ٩- مال نجم الكأس : انتقل من يد إلى يد ، سعد الأثر : محمود الأثر ، ١٠- وطر : بغية يقال قضى منه وطره أي نال بغيته ومطلبه .
المعنى العام :
في هذه الموشحة يتحسر الشاعر على زمان الوصل في الأندلس ويبكي عصراً جميلاً ولى وزمناً حلواً رحل فيدعو له بجود المطر ويتذكر بحنين وأسى من كان يحب ويهوى فيقول : كان وصلها حلماً جميلاً أو لذة مختلسة في الخفاء وكان الدهر آنذاك يحقق له تلك الأماني المطلوبة التي كان يتمناها .

ثم ينتقل إلى الطبيعة متأثراً بذكرياته العذبة فيقول : كانت الطبيعة من حولنا جميلة فاتنة تشاركنا مشاعر السعادة والسرور والأزهار مفتحة تلمع وتتلألأ والورود الحمراء بنضارتها تنطق بأثر المطر فيها وفضله عليها .
وهذه الطبيعة قد أكتسبت لوناً من الجمال والفتنة ثم يعود ويتحسر على ليالي اللقاء الجميلة التي كان ظلام الليل يكتمها لولا طلوع الفجر المفاجئ الذي فضح تلك اللقاءات الخفية وجعلها تمر سريعة كلمح البصر ولا يزال أثرها الجميل في نفسه وتراه يتهم النجوم بالغيرة والحسد من تلك اللقاءات فيقول اختفت لترسل الصبح يفرق شملنا ويبدد سعادتنا .

بعض الصور البلاغية :

١-الاستعارة المكنية في قوله : (يقود الدهر أشتات المنى) حيث شخص الشاعر فيها الدهر وجعله إنساناً يقود الأماني المتفرقة وقد دلت على صفاء الحياة والسعادة التي كان يشعر بها .
٢-التشبيه في قوله : (زمراً بين فرادى وثنى) حيث شبه أشتات المنى بالحجاج الذين يدعون الله في موسم الحج فرادى وجماعات وهو تصوير فيه قوة وروعة .
٣-التعليل في البيت الأخير حيث شبه النجوم بشخص أصابته الغيرة والحسد من لقائهما في ظلام الليل فذهبت هذه النجوم واختفت لترسل الصباح ليفرق شملهما .
٤-تشبيه آخر في قوله (ربما أثرت فينا عيون النرجس) حيث شبه أزهار النرجس بعيون شخص حاسد فأصابته أزهاره كما تصيب عين الحاسد المحسود .

النص العاشر
نموذج في الرثاء

عبدالله بن علوي الحداد

النص :

مــرت لـــنــا بــالحمى المأنوس أعياد ... مع الأحبة لو عادت ولو عادوا
كــنــا قـضينا بـهـا الأوطار في دعة ... وطيب عيش فما كادت وما كادوا
إنــي وقــد حــالـت الأقــدار دونـهم ... فالهم مجتمع والقوم قــد بـــادوا
هــذا الــزمـــان وهذا الدهر عادته ... فينا وفي غيرنا بين وإنكـــــاد
إن الــحـــوادث لا تــبـقـي عـلـى أحد ... وللكـــريــم قناة ليس تنقـــاد
تجلد واصطبار كان وارثه الأبـ ... ـناء من قبل آباء وأجـــداد
نمضي على سبل كانوا لها سلكوا ... أســـلافنا فهم لله أجنـــاد
ما زعزعتهم يد الأيام حين سطت ... وكـيـف لا وهــم لـلأرض أطـواد
يا صاحبي إن قلبي اليوم مكتئب ... قــد كــان عــاوده مــا كـــان يعتاد
تـذكــر لأصـحـاب قــد انـتـزحـوا ... عــنـا تـنـاءى بـهـم غـور وأنـجـاد
أبـكـيـهــم بـدمـــوع عــل سـائـلها ... يبل مـــن جمرات القلب إيقاد
تــحــســر وشـجـــون كـلـمـا لـمعت ... بـــروق كاظمة تنمو وتزداد
وكــلــمــا نــاحــت الـورقا على غصن ... وكـلـمـا خفقت بـالـــواد أنـــواد

تعريف بالشاعر :

هو عبدالله بن علوي بن أحمد المهاجر بن عيسى المعروف بالحداد التريمي اليمني الحسيني وهو فقيه ومتصوف وشاعر ولد في تريم وعاش بها له ديوان شعر مطبوع هو الدر المنظوم لذوي العقول والفهوم ويشتمل على معظم شعره الذي يتناول أغراضاً عدة أهمها المدائح الدينية والتصوف والرثاء والمواعظ توفي ٧/ القعدة/١١٣٢هـ .

والأبيات السابقة جزء من قصيدة طويلة قالها يرثي بها أخاه الحامد الذي توفي بأرض الهند كان الشاعر قد فقد بعض أقاربه هناك فأشار له .

غريب الكلمات :

١- الحمى : ما يقوم بحمايته وهو المنزل أو الوطن ، المأنوس : الآهل غير المهجور ، ٢- الأوطار : الحاجات ، دعة : هدوء ونعيم ، ٤- بين : فراق وبعد ، إنكاد : من النكد ، ١٣- أنواد : من ناد ينود يميل أو يتحرك .

المعنى العام

تشتمل الثلاثة الأبيات الأولى على معنى التحسر على الزمن الماضي الذي قضاه الشاعر مع أحبته بالوطن والذي أثار هذا التحسر والتذكر هو حادثة الموت التي جعلت الشاعر يستحضر الأيام الماضية مع المفقود ... ثم ينتقل الشاعر بعد ذلك للحديث عن الزمن بنكباته وحوادثه ويقول : إن عادة الدهر هو أن يفرق بين الناس ويجلب لهم النكد وإن حوادث الزمن لا تبقي على شيء وإنما الإنسان الكريم هو الذي يصبر على كوارث الزمن بقلب وقناة لا تلين وسبيله إلى ذلك الصبر والتجلد فعادة الشاعر وعادة أسلافه أن لا يتزعزع حين تحكم الأقدار والأيام قبضتها على المرء .

ثم ينتقل الشاعر بدءاً من البيت "٦٦" إلى "١٣١" إلى وصف حزنه واكتئابه حين يتذكر أصحابه النازحين في مشارق لأرض ومغاربها أولئك الذين بقي منهم من بقي ومات من مات وهو يبرز تحسره هنا بأولئك الذين طواهم الموت فأضاف إلى نفسه همَّ الفقدان بعد همِّ الفراق والبعد .

بعض الصور البلاغية :

١- في البيت الثالث (والقوم قد بادوا) كناية عن موت أحبابه بعيداً عنه في المهجر .

٢- استخدمت كلمة (كريم) في البيت الخامس مجازاً .